الكتاب: نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية
المؤلف: عبد الجواد الإبراهيمي
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق: إعداد عبد الجواد الإبراهيمي
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤١٧
المطبعة: بهمن
الناشر: مؤسسة أنصاريان – قم – ايران
ردمك:
ملاحظات:

نظرة حول
(دروس في العقيدة الإسلامية)
للأستاذ محمد تقي مصباح اليزدي
(الموجز الميسر)
إعداد:
عبد الجواد الإبراهيمي

اللهم صل على محمد وآله وسلم
هوية الكتاب
اسم الكتاب: نظرة حول " دروس في العقيدة الإسلامية "
المؤلف: الأستاذ محمد تقي مصباح اليزدي
اعداد: عبد الجواد الإبراهيمي
تنضيد الحروف: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام
المطبعة: بهمن - قم
الطبعة: الأولى
التاريخ: رجب المرجب ١٤١٧ ه
كمية الطبع: ٢٠٠٠ نسخة
الناشر: مؤسسة انصاريان - قم
نشر: مؤسسة انصاريان
قم - شارع الشهداء - تلفن ٧٧٤١٧٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على النبي الخاتم وعلى آله المصطفين الأخيار
المقدمة
تؤثر عقائد الإنسان وفكره بشكل مباشر أو غير مباشر على شخصيته وسلوكه، ومن هنا كان من الضروري لكل أفراد المجتمع الإسلامي إذا أرادوا اكتساب هوية وطبيعة إسلامية، أن يتعرفوا على العقائد الإسلامية وخاصة الشباب والعناصر المثقفة في المجتمع، الذين تتوالى عليهم هجمات الصراعات الفكرية والثقافية فيعتبر الاهتمام بالمبادئ الأساسية أكثر ضرورة بالنسبة لهم.
وعلماء الإسلام ولتأمين الهدف المذكور، سعوا جاهدين لبيان العقائد الإسلامية وبأساليب مختلفة.
وفي الوقت الراهن الذي عمته الشبهات الجديد دون علماء الدين الاجلاء بعض الكتب الكلامية في مجالات العقائد الإسلامية ومن جملة

هؤلاء سماحة الأستاذ آية الله محمد تقي مصباح اليزدي – دام عزه – الذي صنف كتاب " دروس في العقيدة الإسلامية " بما يتناسب مع الشبهات المطروحة، وبأسلوب جديد ومحتوى بديع، والذي يشتمل على دورة في العقائد والكلام الإسلامي.

والكتاب المذكور يدرس اليوم في المراكز العلمية ويعتبر من الكتب المتميزة لأهميته.

والراقم – مع الاعتراف بقلة البضاعة – وفقت بكل افتخار لتدريسه في العام الدراسي ٧٣ – ١٣٧٤ في مؤسسة الإمام الخميني قدس سره للتعليم و البحث " لجمع من الطلاب غير الإيرانيين (مجموعة الشهيد الصدر رحمه الله) إلا انني أثناء التدريس وصلت إلى نتيجة وهي أن هذا الكتاب – وكما ذكر ذلك الأستاذ أيضا في مقدمته – أعد للسطح المتوسط.

وأما دراسة الكلام والعقائد الإسلامية بشكل مكثف ومضغوط فتحتاج إلى متن آخر.

ولذا صرت في صدد تهيئة متن موجز مضغوط – أثناء التدريس – و عرضت الفكرة على بعض الفضلاء والأصدقاء فاستحسنوها وشجعوني على اجرائها.

وينبغي الاعتراف عنا بان ما بين يدي القارئ الكريم ليس خاليا من النقص لذا أرجوا من أصحاب الرأي والنظر أن يفيدوني بانتقاداتهم واقتراحاتهم الدقيقة والعلمية.

التنبيه على بعض الأمور:

١ – هذا الكتاب ملخص لعلم الكلام والعقائد الإسلامية واعتمدنا في اعداده أولا على كتاب " دروس في العقيدة الإسلامية ".

٢ – لا يختلف هذا الكتاب في منهجه وتسلسل مطالبه وعناوينه عن الكتاب المذكور إلا في بعض الموارد القليلة، كما اننا لم نغير من عبائر الكتاب في كثير من الموارد ولكن حاولنا صب تلك المطالب في قالب سهل وبيانها بأسلوب بسيط.

٣ – أكثر ما ورد في حاشية الكتاب من مصادر ومآخذ مستند إلى كتاب " دروس في العقيدة الإسلامية " نفسه، مع إضافة بعض المصادر.

٤ – من يتعلم مطالب هذا الكتاب جيدا يمكنه بسهولة الإجابة على الأسئلة المذكورة في كتاب " دروس في العقيدة الإسلامية " ولذا فإننا أدرجنا نفس تلك الأسئلة في نهاية كل درس وبينا مطالب الكتاب بما يناسب تلك الأسئلة ليتسنى لطلاب الدورات المكثفة في العقائد الإسلامية الاستفادة منها وليتمكن طلاب السطح المتوسط الذين يعتمدون على متن " الدروس في العقيدة الإسلامية " من الإجابة على الأسئلة الواردة والتزود بعصارة ميسرة في هذا المجال.

شكر:

وهنا أجد نفسي ملزما بتقديم جزيل شكري وامتناني

لكل أستاذتي وخاصة حضرة آية الله محمد تقي المصباح اليزدي – دام عزه العالي – والذي كنت أنعم بتشجيعه الأبوي على الدوام – كما وأشكر كل الأصدقاء والفضلاء الأعزاء الذين تفضلوا علي بارشاداتهم واهتماماتهم بنشر هذا الأثر، وأطلب م الله المنان أن يزيد في توفيقاتهم.

والحمد لله أولا وآخرا

٢٧ / ٤ / ١٣٧٥ ه. ش

الحوزة العلمية – قم المقدسة

عبد الجوار الإبراهيمي

– ١ – معرفة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس ١

ما هو الدين؟

مفهوم الدين

الدين في اللغة بمعنى الطاعة والجزاء...، وأما في الاصطلاح فتعني: الإيمان بخالق الكون والإنسان، وبالتعاليم والوظائف العملية الملائمة لهذا الإيمان.

أطلقت اللادينية على أولئك الذي لا يؤمنون بالخالق إطلاقا أما كلمة المتدينين، فتطلق على أولئك الذين يؤمنون بخالق الكون.

والدين الحق عبارة عن المبدأ الذي يشتمل على المعتقدات الصحيحة المطابقة للواقع، والتعاليم والممارسات التي يدعو إليها تملك رصيدا كافيا لصحتها واعتبارها.

أصول الدين وفروعه

أن الدين يتألف من قسمين رئيسين:

١ – العقيدة.
٢ – التعاليم والأحكام العملية.
ومن المناسب أن يسمى قسم العقائد من الدين ب " الأصول " و قسم الأحكام العملية ب " الفروع ".
الرؤية الكونية والأيديولوجية
الرؤية الكونية عبارة عن " مجموعة من المعتقدات والنظرات الكونية المتناسقة حول الوجود بصورة عامة ".
والأيديولوجية عبارة عن " مجموعة من الآراء الكلية المتناسقة حول سلوك الإنسان وأفعاله ". (١)
الرؤية الكونية الإلهية والمادية
الرؤية الكونية ينقسم إلى قسمين جامعين:
١ – الرؤية الكونية الإلهية،
٢ – الرؤية الكونية المادية.
" المادية الديالكتيكية " التي تمثل البعد الفلسفي للماركسية هي مذهب مادي.
واتضح مما سبق أن مجال الرؤية الكونية لا يتحدد بحدود المعتقدات

---

١ – لزيادة الإيضاح حول الرؤية الكونية والأيديولوجية يراجع الدرس الأول من كتاب " أيدوليوجية تطبيقي " (باللغة الفارسية).

الدينية ولذا تنقسم إلى الهية ومادية.

الأديان السماوية وأصولها

إن الدين ولد مع الإنسان على البسيطة إذ أن الإنسان الأول على الأرض وهو آدم عليه السلام كان نبي الله وداعيا للتوحيد (١)

الأديان التوحيدية تشترك في ثلاثة أصول كلية: ألف – الإيمان بالله الواحد. ب – الاعتقاد بعالم الآخرة. ج – الإيمان ببعثة الأنبياء والرسل.

وهذه الأصول الثلاثة تمثل في واقعها الأجوبة الحاسمة على هذه الأسئلة الرئيسية:

١ – من هو خالق الوجود ومبدأه؟

٢ – ما هو مصير الحياة؟

٣ – ما هو السبيل لمعرفة النظام الأفضل للحياة؟

فالتوحيد والنبوة والمعاد تمثل العقائد الأساسية لكل الأديان السماوية ولو أضفنا إليها بعض الأصول الأخرى فنطلق عليها " أصول الدين الخاص " وكذلك بإضافة بعض المعتقدات المختصة بمذهب معين أو فرقة معينة نطلق عليها " أصول الدين والمذهب " أو " أصول العقائد لمذهب معين ".

---

١ – من جملة التحريفات التي عرضت لها بعض الأديان السماوية لجلب رضا الجبابرة والظالمين هي أن دائرة الدين تنحصر في علاقة الإنسان بالله وأن أحكامه تنحصر في الطقوس المذهبية الخاصة وأن السياسة وتدبير أمور المجتمع بالأخص خارجان عن نطاق الدين في حين أن قسما مهما من تعاليم الإسلام يتعلق بالأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

الأسئلة

١ – بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي للدين.
٢ – عرف الرؤية الكونية، والأيديولوجية وبين الفرق بينهما.
٣ – وضح النوعين المذكورين للرؤية الكونية.
٤ – اشرح المصطلح العام، والمصطلح الخاص لأصول الدين.
٥ – ما هي الأصول المشتركة لكل الأديان السماوية؟ وما هي أهميتها؟

الدرس ٢
البحث عن الدين
دوافع البحث
غريزة " حب الاستطلاع " تمثل الواقع الأول الذي يدفع الإنسان للبحث عن كل المسائل والقضايا ومن جملتها المسائل الدينية ومعرفة الحق وغريزة البحث عن المنفعة والأمن من الضرر والخطر دافعا آخر للبحث عن الدين.
إن بعض علماء النفس (١) يعتقد بان لعبادة الله والتدين في واقعه، دافعا فطريا مستقلا يعتبر عن مصدره ب " الشعور الديني ".
ان الشواهد التاريخية وعلم الآثار والمخلفات القديمة تبين أن التدين وعبادة الله ظاهرة ثابتة بشكل من الأشكال في كل الأجيال البشرية على امتداد التاريخ وهذا الثبات والشمولية لهذه الظاهرة دليل على فطريتها.
من الممكن أن يكمن الدافع الفطري ويختفي في أعماق الفرد نتيجة لعوامل محيطية وتربوية غير سليمة.

---

١ - تراجع الكتب التالية: الشعور الديني، الإنسان ذلك المجهول، الدين والنفس.

أهمية البحث عن الدين

إذا اطلع الإنسان بدفع من الدوافع الفطري (كغريزة حب الاستطلاع وغريزة البحث عن المنفعة، والأمن من الضرر والخطر) بأن دعوة الأنبياء ورسالتهم تتضمن البشارة بالسعادة والنعمة الأبدية، و الانذار بالشقاء والعذاب الأبدي سوف يتحرك للبحث عن الدين ليرى مدى صحة دعوى الأنبياء وانه هل توجد أدلة منطقية كافية على صحة دعاواهم أم لا؟

إن الذين يتجنبون البحث عن الدين للكسل أو لان الإيمان بالدين يمنعهم من بعض الممارسات التي ترغب بها نفوسهم لا بد لهم أن يتقبلوا الآثار السيئة لهذا الكسل والخمول والغرور وما يعقبها بعد ذلك من العذاب الأبدي الدائم.

إن هؤلاء أكثر تعاسة وحماقة من ذلك الطفل المريض الجاهل الذي يمتنع من استعمال الدواء من هنا اعتبر القرآن الكريم أمثال هؤلاء الغافلين أضل من الانعام. (١)

الجواب عن شبهة

نقول في رد يقول " فالأفضل أن نبذل جهودنا وطاقتنا في الأعمال التي نحتمل ونأمل أكثر في التوصل إلى نتائجها ":

---

١ - الأعراف / ١٧٩: * (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) *. و الأنفال / ٢٢. * (إن شر الدواب عند الله الصم إليكم الذين لا يعقلون) *.

أولا: ان الأمل في معالجة المسائل الدينية واحتمالها ليس بأقل من الاحتمال في معالجة المسائل العلمية،
وثانيا: إن قيمة الاحتمال تخضع " درجة الاحتمال " و " درجة المحتمل " وبما أن المنفعة المحتملة التي تتمثل في البحث عن الدين لا نهائية ولذلك وإن كان احتمال التوصل إلى نتيجة يقينية منه ضعيفا جدا ولكن بالرغم من ضعف احتمال التوصل إلى نتيجة فإن قيمة البحث عن بذل الجهد في هذا السبيل وأهميتها، تفوق بكثير قيمة البحث في أي طريق آخر له نتيجة محدودة وضيقة.

الأسئلة

١ – ما هو الدافع الذي يدفع الإنسان لمعرفة الحقائق؟
٢ – لماذا لا يبحث البشر عن الحقائق كلها؟
٣ – ما هو الشعور الديني؟ وما هو الدليل على وجوده؟
٤ – بين ضرورة البحث عن أصول الدين.
٥ – هل يمكن أن نعتبر اليأس من التوصل إلى العلاج اليقيني في المسائل الدينية مبررا لتجنب البحث عنها؟ ولماذا؟

الدرس ٣
الشرط المقوم للحياة الإنسانية
مقدمة
إن ما أثبتناه في الدرس السابق من أن ضرورة البحث عن الدين يعتمد في أساسه على الدافع الفطري في الإنسان لطلب المنفعة والأمن من الضرر (١)، نحاول الآن اثبات هذه الفكرة نفسها بأسلوب آخر.
ان الشرط المقوم للحياة الإنسانية هو الالتزام برؤية كونية و أيديولوجية صحيحتين.
والدليل على أن الشرط المقوم للحياة الإنسانية هو الالتزام برؤية كونية وأيديولوجية صحيحتين يعتمد على ثلاث مقدمات:

---

١ - وهذا الاستدلال بين على شكل " القياس الاستثنائي "، وهو: إنه إذا كان التوصل إلى المنفعة والأمن من الضرر رغبة فطرية في الإنسان فيكون البحث عن الدين الذي يدعي بأنه يعرض السبيل الصحيح إلى المنفعة اللا نهائية والأمن من الضرر اللا نهائي، ضروريا (= المقدمة الأولى) ولكن التوصل المنفعة والأمن من الضرر و رغبة فطرية في الإنسان (= المقدمة الثانية)، إذن فالبحث عن مثل هذا الدين ضروري. [ضرورة العلة الناقصة (= البحث عن الدين) بالقياس إلى تحقق المعلول (= التوصل إلى المنفعة والأمن من الضرر)].

١ – الإنسان، موجود باحث عن الكمال.
٢ – الكمال الإنساني إنما يتحقق في ظل الأفعال الاختيارية المنبثقة من حكم العقل.
٣ – الأحكام العملية للعقل إنما تتكون على ضوء مدركات نظرية معينة من قبيل معرفة الوجود ومعرفة الإنسان ومعرفة السبيل
إذن فمن الضروري البحث والسعي لمعرفة الدين الحق الذي يشتمل على الرؤية الكونية والأيديولوجية الصحيحة وإلا فإنه لا يمكنه التوصل إلى الكمال الإنساني.
توضيح المقدمات ونتيجة البرهان:
١ – الإنسان باحث عن الكمال
إن الدافع الأساسي للكثير من الميول النفسية هو الرغبة في الكمال، وإذا وقع هذا الدافع في مساره؟؟ الفطري السليم فإنه سيؤدي إلى رقيه و تكامله المادي والمعنوي.
٢ – كمال الإنسان في إطاعة العقل
يختص الإنسان بميزتين روحيتين:
١ – لا تتحدد رغباته الفطرية بحدود الحاجات الطبيعية.
٢ – يملك قوة العقل.
ان الكمالات المختصة بالإنسان التي تتمثل في الواقع بكمالاته

الروحية إنما يتوصل إليها من خلال إرادته الشعورية وعلى ضوء توجيهات العقل وإرشاداته.

٣ – الأحكام العملية للعقل محتاجة إلى الأسس النظرية

يمكن للعقل الحكم على الأفعال الاختيارية وتقويمها، فيما لو علم بأبعاد وجود الإنسان والهدف من خلقه فالتوصل إلى الأيديولوجية الصحيحة لا يتم إلا برؤية كونية صحيحة وعلاج مسائلها.

إذن فهذه المدركات النظرية التي تشكل المسائل الأساسي للرؤية الكونية هي في واقعها الأساس للنظام القيمي (الخلقي) والأحكام العملية للعقل.

النتيجة

إن الإنسان نزوع فطري إلى كماله الإنساني وكماله يتحقق بإطاعة العقل والأحكام العملية للعقل محتاجة إلى الأسس النظرية من قبيل التعرف على كمال الإنسان النهائي والتعرف على بدايته ومصيره وإذا لم يتوصل إلى هذه المدركات والمعارف النظرية (أصول الرؤية الكونية) فلا يمكنه أن يتقبل نظاما عمليا صحيحا (الأيديولوجية) حتى يتمكن من الوصول إلى المسار المؤدي إلى كماله الإنساني.

إذن فمن الضروري البحث والسعي لمعرفة الدين الحق الذي يشتمل على الرؤية الكونية والأيديولوجية الصحيحة وأولئك الذين لم يحاولوا البحث عن الدين الحق، أو أولئك الذين عرفوه ولكن كفروا به و

انحرفوا عنه عنادا وخضعوا تماما لنزواتهم ورغباتهم الحيوانية واللذات المادية العابرة يعتبرهم القرآن الكريم حيوانات في واقعهم. (١) وسوف يكون جزاؤهم رهيبا عسيرا. (٢)

الأسئلة

١ – ما هي المقدمات التي يتألف منها الدليل الثاني لضرورة البحث عن الدين؟

٢ – وضح الرغبة الإنسان في الكمال.

٣ – ما هي المميزات الرئيسية للإنسان؟

٤ – ما هي العلاقة بين هذه المميزات والكمال الحقيقي؟ ٥ – كيف تعتمد الأيديولوجية على الرؤية الكونية؟

٦ – بين الشكل المنطقي للدليل الثاني.

* * *

---

١ – محمد صلى الله عليه وآله وسلم / ١٢: * (يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام) *.

٢ – الحجر / ٣: * (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) *.

الدرس ٤
طريق العلاج
لمسائل الرؤية الكونية الأساسية
مقدمة
حين يحاول الإنسان التعرف على أصول الدين الحق فان أول سؤال يواجهه: كيف يتوصل لمدركات أساسية صحيحة؟ ما هي طرق المعرفة؟ وما هي طريق المعرفة التي عليه سلوكها للتوصل لتلك المدركات؟ والدراسة التفصيلية لهذه المواضيع يتكفل بها قسم المعرفة من الفلسفة (الابيستولوجيا). (١)
أنواع المعرفة
يمكن تقسيم أنواع المعرفة الإنسانية إلى أربعة أقسام:
١ – المعرفة التجريبية والعلمية: التي يستفاد في العلوم التجريبية، أمثال الفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء.

---

١ – للتوسع يراجع القسم الثاني من كتاب " تعليم الفلسفة " ومقالة " المعرفة " من كتاب " الدفاع عن خنادق الأيديولوجية " والدرس الخامس إلى السادس عشر من " الأيديولوجية المقارنة ".

٢ – المعرفة العقلية: وميادين هذه المعرفة هي المنطق والعلوم الفلسفية والرياضيات.
٣ – المعرفة التعبدية: التي تتحقق عن طريق خبر " المخبر الصادق " من قبيل المعارف والمعلومات التي يتلقاها أتباع الأديان من أحاديث قادتهم وزعمائهم الدينيتين.
٤ – المعرفة الشهودية: التي تتعلق بعين المعلوم وذاته وهذه المعرفة الشهودية مصونة من الخطأ والاشتباه. (١)
أنواع الرؤية الكونية
١ – الرؤية الكونية العلمية: بأن يتوصل الانسان من طريق معطيات العلوم التجريبية إلى رؤية كلية حول الوجود.
٢ – الرؤية الكونية الفلسفية: وتحصل من خلال الاستدلالات والبحوث العقلية.
٣ – الرؤية الكونية الدينية: التي يتوصل إليها من طريق الاعتقاد بقيادة الأديان والإيمان بأحاديثهم.
٤ – الرؤية الكونية العرفانية: التي تحصل من طريق الكشف و الشهود والإشراق.
نقد وتقويم
أمثال مسائل الرؤية الكونية خارجة عن ميدان العلوم التجريبية

---

١ – راجع كتاب: " تعليم الفلسفة " الدرس الثالث عشر.

واختصاصها لذلك لا يحق لأي علم تجريبي أن يتحدث عن هذه المسائل نفيا أو إثباتا فالرؤية الكونية العلمية والتجريبية ليست إلا سرابا خادعا و يمكن أن نسميها – على أبعد الفروض – " معرفة العالم المادي ".

أما المعارف والمدركات التي يتوصل إليها من الطريق التعبدي دورها ثانوي أي لا بد أن نثبت أولا نبوة النبي لتكون رسالته وأحاديثه معتبرة. و من الواضح أنه لا يمكن أن نثبت من حديث الرسول نفسه وجود المرسل ونبوة الرسول ذاته.

إذن فالطريق التعبدي ليس فاعلا في علاج المسائل الأساسية للرؤية الكونية.

نقد الرؤية الكونية العرفانية

أولا إن الرؤية الكونية معرفة تتألف من مفاهيم ذهنية ولكن في عالم الشهود ليس هناك أي مجال للمفاهيم الذهنية.

ثانيا: إن تفسير المشاهدات والمكاشفات وعرضها من خلال الألفاظ والمفاهيم يحتاج إلى قدرة ذهنية معينة وأولئك الذين لا يملكون هذه القدرة الذهنية يستخدمون ألفاظا وتعابير ومفاهيم متشابهة تكاد تكون عاملا خطيرا في الانحراف والضياع والضلال.

ثالثا: في الكثير من الحالات مع تفسير الذهن لهذا الشهود وربما يعرض هذا الخلط والاشتباه حتى على المشاهد نفسه.

رابعا: التوصل للحقائق التي يعتبر تفسيرها الذهني ب " الرؤية الكونية " إلى السير والسلوك العرفاني الذي يتوقف في تكونه، على الأسس النظرية والمسائل الأساسية للرؤية الكونية.

النتيجة

إن الطريق الوحيد لكل باحث عن معالجة المسائل الأساسية للرؤية الكونية وحلها هو طريق العقل والمنهج العقلي ومن هنا فالرؤية الكونية الواقعية هي الرؤية الكونية الفلسفية.

الأسئلة

١ – أذكر أنواع المعرفة الإنسانية وميادينها.

٢ – ما هي الأنواع التي يمكن تصورها للرؤية الكونية؟

٣ – ما هي الطريق التي يمكن من خلالها إثبات المسائل الأساسية للرؤية الكونية؟

٤ – كيف تقوم الرؤية الكونية العلمية؟

٥ – كيف يمكن الاستفادة من المعلومات التجريبية في مسائل الرؤية الكونية؟

٦ – كيف يمكن الاستفادة من المعلومات التعبدية في إثبات المسائل العقائدية وما هي مجالاتها؟

٧ – ما هي الرؤية الكونية العرفانية؟ وهل يمكن معالجة المسائل الأساسية للرؤية الكونية على أساس الشهود العرفاني؟ ولماذا؟

* * *

الدرس ٥

معرفة الله

إن أساس الدين هو الإيمان بوجود إله خالق للكون وإن الفارق الرئيسي بين الرؤية الكونية الإلهية والرؤية الكونية المادية هو في وجود هذا الإيمان وعدمه.

إذا ثبت وجود اله خالق للكون يبحث بعد ذلك في سائر الصفات الإلهية وإلا تثبت النظرة الكونية المادية ولا حاجة معها للبحث في سائر المسائل المتعلقة بالدين.

المعرفة الحضورية والحصولية

يمكن أن يتصور نوعان لمعرفة الله: أحدهما: المعرفة الحضورية والآخر: المعرفة الحصولية.

والمعرفة الحضورية تعني: أن يتعرف الإنسان على الله من طريق نوع من الشهود الباطني والقلبي (١) من دون توسط المفاهيم الذهنية.

---

١ - نحن نعتقد في حق الأنبياء والأئمة المعصومين - عليهم الصلاة والسلام - بأنهم كانوا يتميزون بنوع من الشهود منذ طفولتهم.

ويمكن للإنسان أن لا يحتاج مع هذا الشهود الشعوري إلى الاستدلال والبرهان العقلي ولكن مثل هذا العلم الحضوري والشهودي يمكن للفرد الذي يقوم بهمة تربية نفسه وبنائها واجتياز مراحل السير والسلوك العرفانية

والمعرفة الحصولية تعني: أن يتوصل الإنسان من خلال بعض المفاهيم الكلية إلى معرفة ذهنية عن الله تعالى يمكن للإنسان مع هذه المعرفة الحصولية أن يتوصل من خلالها إلى المعرفة الحضورية الشعورية الواعية.

المعرفة الفطرية

الفطرة معناها " نوعية الخلقة "

١ – إن الأمور الفطرية لكل نوع مشتركة في أفراد ذلك النوع كلها.

٢ – الأمور الفطرية ثابتة دائما. (١)

٣ – الأمور الفطرية لا تحتاج في وجودها إلى التعليم والتعلم.

للأمور الفطرية في الإنسان مجموعتان:

أ – المدركات الفطرية كمعرفة الله الفطرية.

ب – الميول والرغبات الفطرية كعبادة الله الفطرية.

ومن هنا يسمى نوع من معرفة الله، الذي لا يحتاج معه إلى التعلم " معرفة الله الفطرية ". ويسمى نوع من الميل إلى الله وإلى عبادته في كل إنسان " عبادة الله الفطرية " أو " التدين الفطري ".

---

١ – * (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) * (الروم / ٣٠)

لا يكون الدافع الفطري لعبادة الله من الدوافع الشعورية كذلك الدافع الفطري لمعرفته أيضا معرفة غير شعورية ومن هنا لا تغني الأفراد العاديين عن البحث العقلي حول معرفة الله.

والحاصل أن معرفة الله الفطرية تعني أن الإنسان في عمق روحه توجد إمكانيات وبذور المعرفة الشعورية بالله تصلح للنمو والاشتداد.

الأسئلة

١ – ما هي المسألة الأساسية الرئيسية من مسائل الرؤية الكونية؟ و لماذا كانت أساسية؟

٢ – إشرح المعرفة الحضورية والحصولية بالله تعالى.

٣ – هل يمكن التوصل إلى المعرفة الحضورية عن طرق الاستدلال العقلي؟ ولماذا؟

٤ – ما هو دور المعرفة الحصولية وأثرها في المعرفة الحضورية؟

٥ – بين معنى الفطرة؟

٦ – بين مميزات الأمور الفطرية.

٧ – بين أقسام الأمور الفطرية.

٨ – ما هو الأمر المتعلق بالله تعالى؟

٩ – وضح المعرفة الفطرية بالله.

١٠ – هل يمكن للمعرفة الفطرية بالله أن تغني الأفراد العاديين عن الاستدلال العقلي؟ ولماذا؟

الدرس ٦
الطريق السهل لمعرفة الله
طرق معرفة الله
قد استفيد في بعض البراهين من مقدمات حسية تجريبية وفي بعضها من المقدمات العقلية البحتة وبعضها يستهدف إثبات وجود الله الحكيم بصورة مباشرة بينما البعض الآخر يستهدف إثبات " واجب الوجود " وعلى ضوء هذا الدليل لابد من الاعتماد على أدلة وبراهين أخرى لإثبات صفاته تعالى.
والمميزات لطرق معرفة الله المختلفة هي ان بعضها كالجسور الخشبية البسيطة تتحمل لعبور الشخص الخفيف المؤونة بينما بعضها كالجسور الصخرية الطويلة التي تمتع بقوة أكبر ولكنها تطيل المسافة، و بعضها كالطرق الحديدية الصعبة المتعرجة والملتوية صنعت للقطارات الثقيلة.
خصائص الطريق السهل
المميزات والخصائص للطريق السهل:
١ – إن هذا الطريق لا يحتاج إلى مقدمات صعبة معقدة وفنية.

٢ – إن هذا الطريق يوجه الإنسان بصورة مباشرة إلى الله الخالق العالم القادر.
٣ – إن مهمة هذا الطريق ودوره – قبل كل شئ – هو إيقاظ الفطرة
اختار قادة الدين وروا الأديان السماوية هذا الدليل لعرضه على
الناس ودعوا الجميع إلى السعي في هذا السبيل
الآيات الواضحة
ان هذا الطريق السهل يتمثل في " التفكر في الآيات الإلهية كما
تتعرفون بقراءة الكتاب على وجود مؤلف عالم وهادف كذلك بالتفكر في
الآيات الإلهية تتعرفون على الخالق الحكيم.
كل نظام هادف دليل على منظم هادف ونحن نشاهد هذه
الأنظمة الهادفة في أرجاء الكون كله، إن غصن الورد الذي يفرع في حديقة و
ذلك البلبل المغرد حقا إنه لتوافق عجيب وتدبير مدهش في ظهور
الحليب في أثداء الأمهات متزامنا تماما مع ولادة أبنائهن! والأسماك والطيور
البحرية وأفواج النحل و... كلها آيات عليه.
والأعجب من ذلك أن النحل والبقر والشياة تدر في كل مرة
لبنا أو عسلا أكثر مما تحتاجه ليستفيد منه الإنسان هذا المخلوق المتميز
الاستثنائي!
وفي هذا البدن الإنساني تلاحظ أكثر آثار التدبير الحكيم دهشة و
إعجابا وكل خلية تمثل نظاما صغيرا هادفا وكل مجموعة من الخلايا تؤلف
عضوا من الأعضاء وتشكل نظاما هادفا أكبر فإن هذه الأنظمة التي لا
تعد ولا تحصى من الكائنات الحية وغير الحية تؤلف نظام الكون الكبير،

الذي لا تسبر أغواره وهو عالم الطبيعة يديرها الإله الواحد بتدبيره الحكيم بكل نظام وتناسق وانسجام * (ذلكم الله فأنى تؤفكون) *. (١)

الأسئلة

١ - بين الطرق المختلفة لإثبات وجود الله ومميزات كل واحد منها.

٢ - ما هو الطريق السهل لإثبات وجود الله وما هي خصائصه و مميزاته؟

٣ - اشرح الآيات والعلامات الهادفة للظواهر.

٤ - بين الشكل المنطقي لدليل النظام.

---

١ - الأنعام / ٩٥.

الدرس ٧
إثبات واجب الوجود
ونختار هنا من بين البراهين الفلسفية والكلامية برهانا واحدا، يعتمد على مقدمات أقل، ولكنه متقن ومحكم، وأقرب إلى الفهم و سنحاول توضيحه ولكن يلزم التأكيد على أن هذا البرهان يثبت الله بعنوان أنه " واجب الوجود " ولا بد من إثبات سائر الصفات ببراهين أخرى.
صيغة البرهان
إن الموجود بحسب الافتراض العقلي – إما واجب الوجود وإما ممكن الوجود ولا يمكن أن نعتبر كل الموجودات ممكنة الوجود ولذلك لأن ممكن الوجود محتاج للعلة ولما ان تسلسل العلل محال فلا بد إذن من أن تنتهي سلسلة العلل إلى موجود آخر غير معلول أي انه واجب الوجود.
الإمكان والوجوب
كل قضية تتألف من (الموضوع والمحمول) ومن وجهة النظر المنطقية ثبوت المحمول للموضوع لا يخرج عن حالات ثلاث إما أن ثبوته محال (= ممتنع) واما أنه ضروري (= الواجب) وإما أنه ليس محالا و

لا ضروريا (= الممكن) وأما من وجهة النظر الفلسفية الممتنع والمحال ليس له وجود خارجي إطلاقا لذلك قسم الفلاسفة الموجود – بحسب الافتراض العقلي – إلى واجب الوجود وممكن الوجود.

فواجب الوجود: عبارة عن الموجود الذي هو موجود بذاته ولا يحتاج إلى موجود آخر.

وممكن الوجود: عبارة عن الموجود الذي لا يوجد بذاته، وإنما تحققه منوط بموجود آخر.

يمكن أن نتصور صدق هذه القضية " الموجود إما واجب أو ممكن " بثلاث صور:

الأولى: كل موجود هو واجب الوجود.

الثانية: كل موجود ممكن الوجود.

الثالثة: بعض الموجودات واجب الوجود، وبعضها ممكن الوجود.

وعلى الافتراضين الأول والثالث يثبت وجود واجب الوجود فلا بد أن نبحث حول هذا الافتراض هل يمكن أن تكون كل الموجودات ممكنة الوجود أم لا؟

والجواب هو إن ممكن الوجود محتاج للعلة وإن التسلسل في العلل محال إذن فلا بد أن تنتهي سلسلة العلل إلى واجب الوجود.

العلة والمعلول

إذا احتاج موجود إلى موجود آخر اصطلح فلسفيا على الموجود

المحتاج ب " المعلول " وعلى الآخر ب " العلة " أما لو كانت العلة غير محتاجة وليست فيها أية معلولية فستكون علة مطلقة وغير محتاجة بصورة مطلقة.

السؤال: كيف يثبت " ان كل ممكن الوجود محتاج إلى علة "؟

الجواب: إن كل محمول نسب لموضوع ما فإما أن يثبت للموضوع بالذات أو أن ثبوته له بسبب أمر آخر (بالغير).

فثبوت " الوجود " لموضوع ما أيضا إما بالذات وإما بالغير وممكن الوجود الذي لا يتصف بالوجود بذاته أن يوجد بموجود آخر ويكون معلولا له هذه هي القاعدة العقلية المسلمة " كل ممكن الوجود محتاج إلى علة ".

موضوع أصل العلية

فموضوع هذا القانون هو " ممكن الوجود " و " المعلول " أي ان كل موجود مرتبط ومحتاج هو المفتقر محتاج إلى العلة لا كل موجود فإذن ان واجب الوجود لا يحتاج إلى علة لأنه لا يكون موجودا مرتبطا ومحتاجا.

استحالة تسلسل العلل

بملاحظة ان وجود المعلول محتاج إلى العلة ومشروط بوجودها فإذا افترضنا أن هذه المعلولية والمشروطية عامة وشاملة فيلزم أن لا يتحقق أي موجود ذلك لأنه لا يعقل افتراض وجود سلسلة من الموجودات المترابطة بدون وجود موجود آخر يمثل طرف ارتباطها.

كما لو فرضنا أن هناك فريقا لسباق الركض وقرر كل واحد منهم في نفسه أن لا يبدء بالركض إلا إذا بدأ صاحبه فلو كان هذا القرار شاملا للجميع فسوف لن يبدء أي منهم بالركض ولن يتحقق الركض إطلاقا!

توضيح البرهان

وعلى ضوء المقدمات المذكورة نقول كل موجود إما واجب الوجود وإما ممكن الوجود ولو تأملنا بدقة في مفهوم " ممكن الوجود " لاتضح لنا أن الشئ الذي يكون مصداقا لهذا المفهوم لا بد أن يكون معلولا ومحتاجا إلى علة.

ومن جانب آخر لا يمكن أن يكون كل موجود ممكن الوجود و محتاجا إلى علة لأنه لو كان كل موجود ممكن الوجود ومحتاجا إلى علة لما وجد أي موجود. إذن فوجود الموجودات الخارجية دليل على وجود واجب الوجود.

الأسئلة

١ – بين المصطلح المنطقي والفلسفي للإمكان والوجوب.

٢ – عرف وتاجب الوجود وممكن الوجود.

٣ – ما هي الصور التي يمكن افتراضها لتقسيم الموجود عقليا لواجب الوجود وممكن الوجود؟

٤ – عرف العلة والمعلول.

٥ – ما هو مدلول قانون العلية؟

٦ – لماذا احتاج ممكن الوجود إلى علة؟

٧ – هل إن قانون العلية يقتضي أن تكون لله علة؟ ولماذا؟

٨ – هل إن الإيمان بإله غير مخلوق هدم لمبدأ العلية؟

٩ – بين استحالة تسلسل العلل.

١٠ – أذكر الشكل المنطقي لهذا البرهان ووضح بدقة الفكرة التي يستهدف إثباتها.

الدرس ٨
صفات الله
إن مجرد إثبات أن الله واجب الوجود لا يكفي لمعرفته بصورته المتميزة إذ من الممكن أن يعتقد البعض بأن المادة أو الطاقة مثلا يمكن أن تكون مصداقا لواجب الوجود من هنا كان من الضروري أن نثبت الصفات السلبية الإلهية والصفات الثبوتية الإلهية لتتضح لنا صلاحيته للعبادة و لنمهد بذلك الأرضية لإثبات سائر المعتقدات أمثال النبوة والمعاد وما يتفرع عنهما.
لقد توصلنا – من خلال البرهان السابق – إلى صفتين لواجب الوجود.
الأولى: عدم احتياجه لأي موجود آخر.
الثانية: ان الموجودات الممكنة الوجود معلولة ومحتاجة إليه.
أزلية الله وأبديته
وبما أن واجب الوجود موجود بذاته وغير محتاج إلى أي موجود آخر. لذلك فهو أبدي الوجود يعني أنه أزلي وأبدي وأحيانا يعبر عن كلتا الصفتين ب " السرمدي ".

وعلى هذا الأساس فكل موجود كان مسبوقا بالعدم أو أنه يمكن زواله لا يكون واجب الوجود وبذلك لا يمكن أن تكون أية ظاهرة مادية واجبة الوجود.

الصفات السلبية

بما ان واجب الوجود لا يكون محتاجا فلا يكون مركبا وذلك لأن كل مركب محتاج لأجزائه وبما أن التركيب من الأجزاء بالفعل أو بالقوة من خواص الأجسام فيثبت من ذلك تجرد الله تعالى وعدم جسمانيته ويتضح بذلك أيضا أن الله تعالى غير قابل للرؤية بالعين وذلك لأن المحسوسية من خواص الأجسام والجسمانيات.

وكذلك بنفي جسميته تسلب من واجب الوجود سائر خواص الأجسام أمثال كونه في مكان أو زمان وبسلب الزمان من واجب الوجود تسلب منه الحركة والتحول والتكامل ذلك لأن أية حركة أو تحول لا يمكن أن تتم بدون زمان. (١)

---

١ - نقل القول بكونه تعالى في مكان أو هبوطه من السماء أو رؤيته بالعين عن جماعات من أهل السنة كما أن القول بتحول الله تعالى وتكامله وتغيره نقل عن عدة من فلاسفة الغرب أمثال هيجل وبرجسون وويليام جيمز ووايتهد ولكن يجب أن نعلم بأن سلب الحركة والتغير من الله لا يعني إثبات السكون له بل بمعنى ثبات ذاته والثبات نقيض التغير وأما السكون فإن عدم الملكة بالنسبة للحركة ولا يتصف به إلا الشئ القابل للحركة.

العلة الموجدة
أما أنه تعالى علة للموجودات فهو بمعنى الموجد لها الذي هو قسم خاص من أقسام العلة الفاعلية.
أما العلة فلها أقسام مختلفة: تلك التي يعد وجودها ضروريا دائما لوجود المعلول تسمى ب " العلل الحقيقية " وتلك المجموعة التي لا يجب بقاؤها لبقاء المعلول " أمثال المزارع بالنسبة للنبات " تسمى ب " العلل المعدة " أو " المعدات " وتلك العلل التي يمكن أن تقوم مقامها علل أخرى تسمى " العلة البديلة " وسائر العلل الأخرى تسمى " العلل المنحصرة ".
وهناك نوع آخر من العلل يمكن أن نلاحظ نموذجا لها في مجال النفس الإنسانية وبعض الظواهر والحالات النفسية كما في " الصورة الذهنية " أو " الإرادة " التي يرتبط وجودها بوجود النفس ومن هنا تعتبر معلولة للنفس.
مميزات العلة الموجدة ثلاثة:
١ – العلة الموجدة واجدة لكمالات المعلولات جميعا وبصورة أتم و أكمل. (١)
٢ – إن العلة الموجدة توجد معلولها من العدم وبكلمة

---

١ – يجب أن نعلم واجدية الله تعالى لكمالات مخلوقاته لا تعني أن تقبل مفاهيم المخلوقات (أمثال مفهوم الجسم والإنسان) الصدق على الله تعالى وذلك لأن هذه المفاهيم تعبر عن موجودات محدودة ناقصة ولذلك لا تقبل الصدق على الله تعالى الذي يمتلك الكمالات اللامتناهية.

واحدة " تخلقها ".
٣ – إن العلة الموجدة علة حقيقية ومن هنا كان وجودها ضروريا لبقاء المعلول.
وإذا امتنع الخالق لحظة عن إفاضة الوجود فلا يبقى شئ في الوجود خلافا للعلة المعدة التي لا يحتاج إليها بقاء المعلول.
الأسئلة
١ – لما يلزم معرفة صفات الله؟
٢ – ما هي نتائج ومعطيات البرهان السابق.
٣ – ما هو الدليل على سرمدية الله؟
٤ – كيف يمكن لنا أن نثبت بأن الذات الإلهية بسيطة وأنها منزهة عن الأجزاء بالفعل وبالقوة؟
٥ – ما هو الدليل على عدم جسمانية الله؟
٦ – لماذا لا يمكن لنا أن نرى الله؟
٧ – ما هو الدليل على عدم الزمان والمكان له تعالى؟
٨ – هل يمكن لنا أن ننسب الحركة والسكون لله؟ ولماذا؟
٩ – بين أقسام العلة.
١٠ – إشرح مميزات العلة الموجدة.

الدرس ٩
الصفات الذاتية
نكتتان:
١ – كل أنواع الكمالات المتوفرة في أي موجود إنما هي مستمدة من العلة الموجدة دون أن ينقص من كمالاته شئ عند إفاضتها على مخلوقاته
٢ – إن كل مفهوم يعبر عن كمال من الكمالات دون أن يستلزم أي نقص أو تحديد، يقبل الصدق والانطباق على الله تعالى.
إن في كتب العقائد والكلام والفلسفة تقسم
الصفات الإلهية إلى
مجموعتين: (الصفات الذاتية والصفات الفعلية).
الصفات الذاتية والفعلية
إن الصفات الذاتية تنتزع من الذات الإلهية بالنظر إلى أنها واجدة لنوع من أنواع الكمالات أمثال الحياة والعلم والقدرة وأما الصفات الفعلية تنتزع من نوع علاقة وارتباط بين الله تعالى ومخلوقاته أمثال الخالقية والرازقية.
والفرق الرئيس بين هذين القسمين من الصفات هو أنه في القسم الأول تكون الذات الإلهية المقدسة مصداقا عينيا لها أما في القسم الثاني

فتعبر عن نوع نسبة وإضافة بين الله تعالى ومخلوقاته أمثال صفة الخالقية التي تنتزع من الارتباط الوجودي للمخلوقات بالذات الإلهية ويمثل هلله والمخلوقات طرفي هذه الإضافة وأهم الصفات الذاتية الإلهية هي الحياة والعلم والقدرة.

إثبات الصفات الذاتية

إن كل كمال يوجد في أي مخلوق فهو مستمد من الله ولا يمكن لمن يخلق الحياة أن يكون فاقدا لها أو لمن يفيض العلم والقدرة للمخلوقات أن يكون جاهلا عاجزا إذن فوجود هذه الصفات الكمالية في بعض المخلوقات دليل على وجودها في الخالق تعالى.

الحياة

مفهوم الحياة يستعمل في مجموعتين من المخلوقات

الأولى: النباتات.

الثانية: الحيوانات والإنسان حيث تمتلك الشعور والإرادة.

ولكن المعنى الأول لمفهوم الحياة مستلزم للنقص والاحتياج ذلك لأن طبيعة النمو تفرض أن يكون الشئ النامي في بداياته فاقدا للكمال وتصل به إلى كمال جديد بالتدريج.

أما المعنى الثاني: فإنه مفهوم كمالي الذي يمكن أن نتصور له مرتبة لا متناهية ونطلقه على الواجب تعالى لأن الحياة بمعناها الملازم للعلم

والفاعلية الإرادية من مستلزمات الوجود غير المادي وفي واقعها صفة لروحها ومنن هنا كل موجود مجرد واجد بذاته للحياة إذن فالله تعالى من حيث إنه مجرد واجد للحياة بذاته.

العلم

ومفهوم العلم أكثر المفاهيم وضوحا وبداهة ويمكن للعقل أن يتصور لهذا المفهوم الكمالي مصداقا ليس فيه أي نقص أو تحديد وهو عين ذات العالم وهو هذا العلم الذاتي لله تعالى.

ويمكن لنا إثبات علم الله تعالى من طرق ثلاثة:

١ – بما أن العلم موجود بين المخلوقات إذن فلا بد من وجوده بأكمل مرتبة في خالقها.

٢ – فإن أي ظاهرة أو مخلوق يتوفر أكثر على نظام أ وإتقان فإنه يدل أكثر على علم خالقه. إذن خلق هذا الكون العظيم بكل ما فيه من أسرار و مدهشات الخالق العليم.

٣ – " كل موجود مجرد مستقل عالم ".

تذكار: توجه الإنسان للعلم الإلهي له دروه الكبير في بناء شخصيته. (١)

القدرة

الفاعل الذي يؤدي عمله بإرادته واختياره أنه يملك " القدرة " على

---

١ – المؤمن / ١٩: * (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) *.

عمله إذن فالقدرة عبارة: عن مبدئية الفاعل المختار للعمل الذي يمكن صدوره منه. (١)

نكات حول القدرة

١ - إن العمل الذي تتعلق به القدرة لا بد أن يكون ممكن التحقق.

٢ - إن القدرة إنما يحقق الأعمال التي يريد القادر تحقيقها والله الحكيم لا يريد إلا الأفعال الصالحة والحكيمة ولا يحقق إلا مثل هذه الأعمال وإن كان قادرا على الأعمال القبيحة والمنكرة أيضا.

٣ - إن القدرة متضمنة للاختيار أيضا ولا يمكن لأي عامل أن يقهر الله ويجبره على القيام بعمل أو أن يسلب منه الاختيار وذلك لأن وجود كل موجود وقدرته منه تعالى.

---

١ - البقرة / ٢٠: * (إن الله على كل شئ قدير) *.

الأسئلة

١ – ما هي المفاهيم التي يمكن استعمالها في الله تعالى؟
٢ – عرف الصفات الذاتية والفعلية وبين الفرق بينهما.
٣ – ما هو الطريق العام لإثبات الصفات الذاتية؟
٤ – ما هي المعاني التي يستعمل فيها مفهوم الحياة وما هو المعنى الذي يمكن استعماله في حق الله تعالى؟
٥ – بين الدليل الخاص على الحياة الإلهية.
٦ – أذكر ثلاثة أدلة على العلم الإلهي.
٧ – بين مفهوم القدرة واذكر الدليل على القدرة الإلهية اللامتناهية
٨ – ما هي الأشياء التي لا يمكن أن تتعلق القدرة بها؟
٩ – لماذا لا يعمل الله تعالى الأعمال القبيحة والمنكرة؟
١٠ – بين معنى كون الله مختارا.

الدرس ١٠
الصفات الفعلية
المقدمة
يمكن تقسيم الروابط والإضافات التي يمكن تصورها بين الله والخلق إلى مجموعتين:
١ - ملاحظة الإضافات المباشرة بين الله والمخلوق كالإيجاد والخلق و الإبداع.
٢ - الإضافات التي تتصور بعد تصور إضافات وروابط أخرى، كالرزق.
يمكن أن نلاحظ الصفات الفعلية بلحاظ مبادئها، وفي هذه الحالة، تؤول وتنتهي إلى الصفات الذاتية كما في الخالق لو فسرناه بالقادر على الخلق فيؤول إلى صفة " القدير " أو صفة " السميع " و " البصير " لو فسرناهما بالعالم بالمسموعات والمبصرات فتؤول إلى " العليم ".
إن مفهوم " العلم " استعمل في القرآن الكريم في آيات كثيرة بمعنى " الصفة الفعلية ". (١)

---

١ - راجع: البقرة / ١٨٧ و ٢٣٥، والأنفال / ٦٦، والفتح / ١٨ و ٢٧، وآل عمران / ١٤٠ و ١٤٢، والمائدة / ٩٤ والتوبة / ١٦، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم / ٣١.

فإن الصفة الفعلية سوف تحدد ببعض القيود الزمانية والمكانية بلحاظ تعلقها بالموجودات المادية التي تمثل أحد طرفي الإضافة وإن كانت هذه الصفة بلحاظ تعلقها بالله تعالى الذي يمثل الطرف الآخر للإضافة منزهة عن مثل هذه القيود والحدود.

فإن إفاضة الرزق إلى الشخص مثلا إنما تتم في ظرف زماني ومكاني معينين ولكن هذه القيود والحدود في واقعها متعلقة بذلك الشخص المرتزق لا بالرازق.

الخالقية

ومفهوم " الخالق " الذي يتوصل إليه من خلال العلاقة الوجودية، بين ممكن الوجود وواجب الوجود مساو للعلة الموجدة وكل الموجودات الممكنة المحتاجة التي تمثل طرف الإضافة متصفة بصفة المخلوقية.

يقسم الإيجاد إلى قسمين: ١ – الخلق، ٢ – الإبداع.

إن لفظة الخلق تستعمل إذا اعتبرت الموجودات التي وجدت من مادة سابقة فحسب طرفا للإضافة أما الإبداع يستخدم في الموجودات التي لم تسبق بمادة سابقة (كالمجردات والمادة الأولى).

إنه لو كان ل " خلق " الله مصداق عيني خارجي زائد على ذات المخلوق لكان موجودا ممكن الوجود، ومخلوقا من مخلوقات الله بدوره، وليعود الحديث مرة أخرى حول خلقه نفسه أيضا فإذن ان الصفات الفعلية مفاهيم منتزعة من الإضافات والنسب بين الله والخلق.

الربوبية
ومن الروابط التي تلاحظ بين الله والخلق أن كل شؤون المخلوقات الوجودية مرتبطة بالله تعالى وهو يدبر أمورها بما يريد وينتزع مفهوم " الربوبية " من الصورة العامة لهذه الرابطة.
ويمكن تقسيم الأمور المرتبطة بالربوبية إلى مجموعتين:
١ – الربوبية التكوينية.
٢ – الربوبية التشريعية وهي مختصة بالموجودات التي تمتلك الشعور والاختيار وتشمل عدة مسائل أمثال بعث الأنبياء وإرسال الكتب السماوية وتعيين الوظائف والتكاليف ووضع الأحكام والقوانين.
ولو تأملنا بدقة في مفهوم الخالقية والربوبية وكونهما من الصفات الإضافية سيتضح لنا انه يستحيل أن يكون رب الكون غير الخالق وفي الواقع ان مفهوم الربوبية والتدبير منتزع من كيفية خلق المخلوقات وارتباطاتها.
الألوهية
إن " الإله " بمعنى " المعبود " أو " الذي يستحق العبادة والطاعة # وعلى ضوء هذا المعنى فإن الألوهية صفة إذا أردنا انتزاعها فلا بد أن نتصور إضافة عبادة العباد وطاعتهم.
فإن الذي يستحق العبادة والطاعة هو الخالق والرب فحسب و هذه الدرجة من الاعتقاد هي حد النصاب للاعتقاد بالله تعالى. أي

بالإضافة إلى إيمانه بأن الله واجب الوجود، وأنه الخالق والمدبر يلزم عليه أيضا أن يؤمن بأنه الذي يستحق العبادة والطاعة فكلمة " لا إله إلا الله " خلاصة من حد النصاب بالنسبة للاعتقاد بالله تعالى.

الأسئلة

١ – ما هي العلاقة بين الصفات الذاتية والفعلية وكيف تؤول إحداهما إلى الأخرى؟

٢ – لماذا كانت الصفات الفعلية مقيدة ومحددة بقيود وتحديات زمانية ومكانية؟

٣ – وضح مفهوم الخالقية وبين الفرق بينه وبين الإيجاد والإبداع.

٤ – لماذا لا يمكن أن نتصور ل (الخلق) مصداقا عينيا زائدا على ذات المخلوقات؟

٥ – بين مفهوم الربوبية.

٦ – وضح أقسام الربوبية.

٧ – بين الملازمة بين الخالقية والربوبية.

٨ – بين مفهوم الألوهية وتلازمها للخالقية والربوبية.

الدرس ١١
سائر الصفات الفعلية
المقدمة
من المواضع المثيرة في علم الكلام موضوع الإرادة الإلهية حيث طرحت على بساط البحث من جوانب عديدة أمثال هل إن الإرادة من الصفات الذاتية أم من الصفات الفعلية؟ وهل إن الإرادة قديمة أم حادثة؟ ومن الواضح دراسة هذه المسائل لا تتلاءم هذا الكتاب.
الإرادة
إن لفظة " الإرادة " تستعمل في معنيين:
١ – المحبة.
٢ – التصميم على القيام بعمل.
والإرادة بالمعنى الأول (المحبة) وإن كانت في الإنسان من قبيل الأعراض والكيفيات النفسانية ولكن العقل يمكن أن يتصور لها مفهوما عاما بتجريده عن النقائص بحيث يقبل الصدق والإطلاق على الله تعالى. فإذا كان المراد من الإرادة الإلهية، حب الكمال الذي يتعلق أولا بالكمال الإلهي اللامتناهي أمكن لنا أن نعدها من الصفات الذاتية.

وأما الإرادة بمعنى التصميم على القيام بعمل من الصفات الفعلية حيث تتحدد وتتقيد بقيود وتحديدات زمانية بلحاظ تعلقها بالأمور الحادثة. (١)

إن اتصاف الله تعالى بالصفات الفعلية يعني أن تلاحظ إضافة و نسبة بين الذات الإلهية ومخلوقاتها من زاوية خاصة وفي ظل شروط معينة وينتزع من خلال ذلك مفهوم إضافي معين هو أحد الصفات الفعلية.

وفي مجال الإرادة تلاحظ هذه الرابطة وهي أن كل مخلوق إنما خلق من جهة توفره على الكمال والخير والمصلحة فيكون وجوده في زمان ومكان معينين وبكيفية خاصة متعلقا للعلم والمحبة الإلهية وقد خلقه الله تعالى باختياره دون أن يقهره أحد على هذا الخلق وبملاحظة هذه العلاقة ينتزع مفهوم إضافي يسمى ب " الإرادة ". وهي تتحدد بحدود وقيود بملاحظة من جهة تعلقها بشئ محدود ومقيد ويتصف هذا المفهوم الإضافي بالحدوث والكثرة ذلك لأن الإضافة تابعة للطرفين والحدوث والكثرة في أحد الطرفين يكفي في سراية هذه الأوصاف للإضافة نفسها.

الحكمة

إن تتعلق به الإرادة الإلهية أصالة هو جهة الكمال والخير في الأشياء وبما أن تزاحم الماديات فيما بينها يؤدي إلى عروض النقص والضرر على بعضها بفعل البعض الآخر منها، ولذلك فإن المحبة الإلهية للكمال تقتضي أن يوجد المجموع بشكل يترتب عليه الخير والكمال الأكثر والأغلب ومن ملاحظة هذه العلاقات والروابط يتوصل إلى مفهوم

---

١ - يس: ٨٢: * (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) *

" المصلحة ". وبما أن الأفعال الإلهية إنما تنشأ من صفاته الذاتية كالعلم والقدرة وحبه للكمال والخير لذلك فإن هذه الأفعال إنما تتحقق دائما متوفرة على المصلحة أي يترتب عليها الخير والكمال الغالب ويعبر عن مثل هذه الإرادة ب " الإرادة الحكيمة " ومن هنا تنتزع صفة أخرى لله تعالى من الصفات الفعلية تسمى بصفة " الحكيم ".

إن العلة الغائية للأفعال الإلهية هي العلة الفاعلية نفسها وليس لله غاية مستقلة وزائدة على ذاته أما الكمال والخير والمصلحة في الموجودات فيعتبر غاية فرعية وتبعية. (١)

الكلام الإلهي

إن التكلم الإلهي من صفات الفعل حيث يتوقف انتزاعه على تصور مخاطب وفي الواقع ان مفهوم المتكلم ينتزع من الرابطة بين الله تعالى والمخاطب.

وأما إذا أخذ التكلم بمعنى القدرة على التكلم أو العلم بمضمون الكلام تؤول وتنتهي هذه الصفة إلى الصفات الذاتية.

الصدق

إن كلام الله إنما هو من شؤون الربوبية الإلهية وتدبير الكون و

---

١ - راجع: السور: هود / ٧، الملك / ٢، الكهف / ٧، الذاريات / ٥٦، هود / ١٠٨،، ١٠٩. الجاثية / ٢٣، آل عمران / ١٥، التوبة / ٧٢.

الإنسان ولتوجيه المخلوقات وهدايتها وللمخاسبين، وإذا خالف الواقع يوجب نقض الغرض وهذا يخالف الحكمة الإلهية. (١)

وما ينبغي ذكره هو أن هذه الصفة تمثل الأساس لاعتبار نوع آخر من الاستدلال هو " الاستدلال النقلي والتعبدي " لاثبات المسائل الفرعية الكونية وإثبات الكثير من مسائل الأيديولوجية.

الأسئلة

١ – ما هو المعنى الذي تعتبر فيه الإرادة من الصفات الذاتية؟ وما هو المعنى الذي تعتبر فيه من الصفات الفعلية؟

٢ – ما هي العلاقة التي لوحظت بين الله والمخلوقات لانتزاع مفهوم الإرادة كصفة فعلية؟

٣ – كيف تتصف الإرادة الإلهية بالحدوث والكثرة؟

٤ – بين الحكمة الإلهية؟

٥ – كيف نتوصل لمفهوم المصلحة؟

٦ – بأي معنى يمكن اعتبار المصلحة وخير المخلوقات وكمالها غاية للخلق؟

٧ – وضح الكلام الإلهي؟

٨ – بين الدليل العقلي على صدق الله تعالى؟

---

١ – النساء / ٨٧..

الدرس ١٢
دراسة عوامل الانحراف
لأجل تثبيت الإيمان بأصول الرؤية الكونية الإلهية وتعميقه لا بد لنا أن نتعرض لنقد الرؤية المادية، ولكن قبل ذلك نشير إلى عوامل الإنحراف عن الرؤية الكونية الإلهية والاتجاه إلى الالحاد.
عوامل الانحراف عن الدين ثلاثة: (١)
١ – العوامل النفسية
من قبيل الرغبة في الراحة والارتخاء والميل إلى العبث والتحلل و عدم الشعور بالمسؤولية.
٢ – العوامل الاجتماعية
أي الظروف والأوضاع الاجتماعية السيئة التي تظهر في بعض المجتمعات والشعوب حيث لمن بأيديهم زمام الشؤون الدينية دور في حدوثها أو اتساعها كالظروف الاجتماعية التي عاشتها أوروبا في عصر

---

١ – وقد يحث الفقيد الأستاذ الشيخ المطهري في كتاب " الدوافع نحو المادية " في بعض هذه العوامل.

النهضة فإن مواقف الكنيسة السيئة في مختلف المجالات الدينية والقانونية والسياسية كانت من أهم العوامل في نفور الناس وابتعادهم عن المسيحية بل عن الدين بصورة عامة.

٣ – العوامل الفكرية

أي الأوهام والشبهات التي تخطر في ذهن الإنسان أو يسمعها من آخرين لكنه لا يمكنه مواجهتها لضعف وقصور في قدرته على التفكير والاستدلال.

ويمكن تقسيم العوامل الفكرية بدورها إلى أقسام ثانوية:

١ – الشبهات المعتمدة على الميل إلى الأمور الحسية.

٢ – الشبهات الناشئة من المعتقدات الخرافية.

٣ – الشبهات الناشئة من التفسيرات الخاطئة والاستدلالات الضعيفة

٤ – الشبهات المتعلقة بالحوادث والكوارث المؤلمة حيث يعتقد بأنها مخالفة للحكمة والعدل الإلهيين.

٥ – الشبهات التي تنشأ من الفرضيات العلمية حيث يفهم البعض منها معارضتها للمعتقدات الدينية.

٦ – الشبهات المتعلقة ببعض الأحكام والتعاليم الدينية وخاصة المسائل القانونية والحقوقية والسياسية.

مواجهة عوامل الانحراف

إن العوامل النفسية والأخلاقية يجب معالجتها بالتربية الصحيحة.

ولمواجهة الآثار السيئة للعوامل الاجتماعية يلزم أن نوضح الفرق الكبير بين بطلان الدين نفسه وبين عدم استقامة المتدينين. وكذلك يلزم اتخاذ أساليب سليمة ومواقف صائبة من مضاعفات العوامل الفكرية، كالتمييز بين المعتقدات الخرافية والمعتقدات الصحيحة أو اجتناب استخدام الاستدلالات الضعيفة وغير المنطقية في إثبات المعتقدات الدينية.

الأسئلة

١ – ما هي الفائدة المترتبة على نقد ودراسة الرؤية الكونية المادية؟
٢ – كيف انتشرت موجة الإلحاد في القرون الأخيرة؟
٣ – بين العوامل النفسية للانحراف عن الدين.
٤ – اشرح العوامل الاجتماعية لظاهرة الانحراف.
٥ – بين العوامل الفكرية وما ينشأ منها من عوامل.
٦ – كيف يحدث الوسواس الفكري؟
٧ – كيف نواجه عوامل الانحراف؟

* * *

الدرس ١٣
شبهات وحلول
١ – الإيمان بموجود غير محسوس
كيف يمكن الإيمان بموجود لا يقبل الإدراك الحسي؟
الجواب: كما لا يكمن أن نتوقع للعين أن تدرك الأصوات أو الأذن أن تدرك الألوان كذلك يلزم علينا أن نفهم أن حواسنا غير قادرة على إدراك الموجودات كلها. وذلك:
أولا: ان هناك بعض الموجودات المادية غير القابلة للإدراك الحسي، فإن حواسنا عاجزة عن إدارك مثل الأشعة فوق البنفسجية أو تحت الحمراء، وأمواج المغناطيسية الكهربائية.
وثانيا: هناك أشياء نؤمن بها إيمانا جازما مع أنها غير قابلة للإدراك الحسي، فإننا – مثلا – نشعر بحالة الخوف والحب والإرادة فينا، ونعتقد بها اعتقادا يقينيا إذن فعدم إدراك شئ بواسطة الحواس لا ينبغي أن يكون سببا في الاستبعاد والاستغراب.
٢ – دور الخوف والجهل في الإيمان بالله
وهناك شبهة أخرى: إن البشر لتسكين نفسه وتهدئتها عند بعض

الأخطار والمخاوف، اخترع (نستغفر الله) موجودا وهميا هو " الله " ثم أخذ في عبادته.
الجواب: أولا: لا يكون هناك دليل علمي يدعم صحة هذه الفرضية.
بموجود الله الحكيم إيمانا جازما يقينيا. (١)
ثالثا: إذا كان الخوف عاملا في التوجيه والتطلع لله فلا يعني هذا أن الله وليد خوف الإنسان وجهله.
رابعا: سببية الله تعالى للظواهر الكونية شاملة وفي طول تأثير جميع العلل المادية وغير المادية ومعرفة العلل والأسباب الطبيعية أو عدم معرفتها لا أثر لها أبدا في إثباته أو نفيه.
٣ – هل إن قانون العلية قانون كلي وعام؟
إن قانون العلية لو كان مبدأ شاملا لشمل الله تعالى فالإيمان بإله لا علة له نقض وهدم لقانون العلية، ودليل على عدم شموليته وعليه، من الممكن لأحد أن يقول بأن المادة الأصلية أو الطاقة وجدت بذاتها وبدون علة ونشأت من تغيراتها وتبدلاتها سائر الظواهر والأشياء.
والجواب هو أن نقول: " كل ممكن الوجود، أو كل موجود مرتبط، مفتقر محتاج للعلة " لا ان كل شئ محتاج إلى العلة وبما ان الله تعالى ليس بمحتاج فلا علة له. (٢)

---

١ – أمثال انشتاين وكرس موريسن والكسيس كارل، وغيرهم من العلماء الكبار الذين كتبوا المقالات والمؤلفات حول وجود الله.
٢ – راجع الدرس الثامن.

٤ – معطيات العلوم التجريبية
أثبت في علم الكيمياء بقاء كمية المادة والطاقة وثباتها دائما ومن هنا فلا يمكن لأي حادث أن يوجد من العدم ولا يمكن لأي موجود أن يعرض له العدم بالمرة وكذلك ثبت في علم الأحياء أن الكائنات الحية نشأت من موجودات غير حية وتطورت بالتدريج إلى أن كان الإنسان نتيجة لهذا الارتقاء والتطور.
الجواب: أولا إن مبدأ بقاء المادة والطاقة إنما يعتمد عليه في الظواهر الخاضعة للتجربة لا في أصل المادة أو الطاقة ولا في أزليتهما وأبديتهما اللا تجريبية.
ثانيا: ان الملاك والسبب في احتياج المعلول للعلة هو الإمكان و الفقر الذاتي للمعلول لا الحدوث والتحديد الزماني ومن هنا طول عمر العالم موجب لاحتياجه أكثر لخالقه.
وبعبارة أخرى: ان المادة والطاقة تمثلان العلة المادية للكون لا العلة الفاعلية له وهما بنفسهما محتاجان للعلة الفاعلية أيضا.
ثالثا: هذه الظواهر أمثال الروح والحياة والشعور والإرادة وغيرها، ليست من قبيل المادة والطاقة لتكون زيادتها أو نقصانها منافية لمبدأ بقاء المادة والطاقة.
رابعا: ان فرضية التطور، بالإضافة لعدم اكتسابها الاعتبار والقيمة العلمية الكافية فإنها لا تعارض الإيمان بالله، وأكثر ما تفرضه هذه الفرضية هو إثبات نوع من العلية الإعدادية بين الكائنات الحية.

الأسئلة

١ – ما هي الاعتراضات على الإيمان بالحس وإنكار الأمور غير المحسوسة؟

٢ – ما هي الاعتراضات التي يعترض بها على بعض علماء الاجتماع القائلين بأن الخوف أو الجهل هو السبب في نشأة الإيمان بوجود الله؟

٣ – هل إن الإيمان بوجود الله ينافي شمولية قانون العلية؟ ولماذا؟

٤ – هل إن مبدأ بقاء المادة والطاقة ينافي الإيمان بخالق الكون؟ ولماذا؟

٥ – هل إن فرضية التطور تبطل الإيمان بوجود الله؟ ولماذا؟

الدرس ١٤
الرؤية الكونية المادية
عرض ونقد
أصول الرؤية الكونية المادية:
الأول ان الوجود مساوق للمادة والماديات وفوق هذا الأصل ينكر وجود الله.
الثاني: ان المادة أزلية وأبدية وغير مخلوقة ولا تحتاج لأية علة.
الثالث: لا يمكن القول بوجود الهدف والعلة الغائية للكون لأنه ليس للكون فاعل يمتلك الشعور والإرادة.
الرابع: ان ظواهر الكون (وليس مادته الأصلية) إنما وجدت نتيجة التنقلات في ذرات المادة والتفاعل بينهما، وليس هناك أي ظاهرة محتاجة للفاعل الإلهي والخالق والموجد.
الخامس: ان المعرفة المنبثقة من التجربة الحسية هي المعرفة الوحيدة المعتبرة. (١)

---

١ - للتوسع أكثر يراجع كتاب الأيديولوجية المقارنة الدرس الثامن إلى الدرس السادس عشر وإلى كتاب تعليم الفلسفة الدرس الثالث عشر إلى الثامن عشر.

تقويم الأصل الأول
لا يمكن لأية تجربة حسية أن تتحدث عما هو خارج عن اختصاصها وميدانها وهو المادة والماديات لتبدي رأيها فيه نفيا أو إثباتا. أضف إلى ذلك أن الإنسان يدرك الروح بالعلم الحضوري وكذلك يمكن إقامة الكثير من الأدلة العقلية على وجود الأمور المجردة. (١)
تقويم الأصل الثاني
أولا: إن نطاق التجربة ومداها قاصر ومحدود لا يتناول أمثال هذه المجالات ولا يمكن لأية تجربة أن تثبت لا نهائية الكون من حيث الزمان والمكان.
ثانيا: إن أزلية المادة لا تستلزم عدم الاحتياج إلى الخالق كما أن افتراض أزلية الحركة الميكانيكية يستلزم افتراض وجود القوة المحركة الأزلية لا أنها تثبت عدم احتياجها إلى القوة المحركة إضافة إلى ذلك أثبتت في الدرس الثامن استحالة أن تكون المادة واجبة الوجود.
تقويم الأصل الثالث
لو أثبتنا وجود الخالق الحكيم يثبت غائية الكون وهدفيته فان نظام

---

١ - على سبيل المثال يراجع كتاب تعليم الفلسفة الجزء الثاني الدرس الرابع والأربعون والتاسع والأربعون يراجع كتاب مناقشة موجزة لأصول الماركسية الدرس الثاني ويراجع الدرسان السابع والثامن من هذا الكتاب والدرسان الثاني والستون والثالث والستون من كتاب تعليم الفلسفة.

الكون العجز والمدهش دليل على هدفيته.
تقويم الأصل الرابع
هناك اعتراضات كثيرة تتوجه لعد حصر العلية بالعلاقات المادية للظواهر أهمها ما يلي:
١ - إنه وفقا لهذا الأصل يلزم أن لا يوجد موجود جديد في هذا الكون، مع أنها نشاهد دائما ظهور موجودات جديدة، من قبيل الحياة والشعور في عالم الحيوان والإنسان.
يقول الماديون: إن هذه الظواهر هي خواص المادة وليست شيئا آخرا!
ونقول في ردهم:
أولا: إن الامتداد والقابلية للانقسام من الحواس الملازمة للمادة والماديات ولا يمكن انفصالها عنها وهذه الخاصة ليس لها عين ولا أثر في هذه الظواهر المذكورة.
ثانيا: كان هناك زمان كانت فيه هذه المادة فاقدة لهذه الخواص، و لكن بعد ذلك وجدت هذه الخواص فيها، إذن فهذه الموجودات تحتاج إلى موجد قد أوجدها في المادة، وهذا الموجد هو العلة الموجدة.
٢ - إنه لا مجال للاختيار والإرادة في نطاق تأثيرات المادة وتفاعلاتها! ورفض الاختيار بالإضافة إلى أنه مخالف للوجدان والبداهة فإنه مستلزم لإنكار المسؤوليات والقيم الأخلاقية والمعنوية.
الحاصل: بما أن المادة لا يمكن أن تكون واجبة الوجود فلا بد من

وجود علة للمادة ولا يمكن أن تكون هذه العلة من قبيل العلل الطبيعية والمعدة.

الأسئلة

١ – بين أصول وأسس الرؤية الكونية المادية.
٢ – عرف المادة والمادي.
٣ – إشرح الاعتراضات على الأصل الأول.
٤ – بين الاعتراضات على الأصل الثاني.
٥ – ناقش الأصل الثالث.
٦ – اشرح الاعتراضات على الأصل الرابع.

* * *

الدرس ١٥
المادية الديالكتيكية
عرض ونقد
المادية الميكانيكية والديالكتيكية
فسر الماديون باستحياء من المفاهيم الفيزيائية النيوتونية حدوث الظواهر الكونية على وفق الحركة الميكانيكية (= المادية الميكانيكية).
" المادية الميكانيكية " تملك نقاط الضعف ومن هذه النقاط:
١ – إذا كانت كل حركة مسببة عن قوة خارجية فلا بد أن يفترض وجود قوة محركة أيضا لحركة المادة الأولية للعالم أيضا دخلتها من الخارج ويلزم من ذلك أن نؤمن بموجود ما وراء المادة.
٢ – إن القوة الميكانيكية إنما تفسر الحركات الوضعية والانتقالية و لا بد أن نؤمن بوجود علة أخرى وعامل آخر لتفسير نشأة سائر الظواهر الكونية والتغييرات غير الميكانيكية بالنظر إلى الاشكالات المذكورة حاول الماديون تفسير بعض الحركات تفسيرا ديناميكيا (= المادية الديالكتيكية).
المبدأ المادي الديالكتيكي اعتبر عامل الحركة هو التضاد الداخلي الكامن في داخل الظواهر المادية، وإضافة إلى أصول المادية أبدية المادة والحركة الشاملة والتفاعل بين الظواهر طرح الماديون أصولا ثلاثة لتفسير

فرضيتهم. (١)
١ – أصل التضاد الداخلي.
٢ – أصل الطفرة.
٣ – أصل نفي النفي.
أصل التضاد
تعتقد المادية الديالكتيكية أن كل ظاهرة مركبة من ضدين (تز) و (أنتي تز)، والتضاد هو العامل في حركة تلك الظاهرة وتغيرها، حيث يحتدم الصراع بينهما، وينتصر ال " انتي تز " لينشأ من ذلك ظاهرة جديدة هي ال " سنتز " (بيضة الدجاجة – نطفة المواد الغذائية في نفسها الفرخة). وكذلك الشحنة الكهربائية الموجبة والسالبة والجمع والطرح.
يقول الماديون: إن أصل التضاد هذا يثبت بطلان النظرية الميتافيزيقية في استحالة التضاد والتناقض.
المناقشة
إن أحد لا يرفض وجود موجودين ماديين متجاورين بنحو يؤدي أحدهما إلى ضعف الآخر بل ربما أدى إلى إبادته وفنائه كما يلاحظ ذلك في الماء والنار ولكن:

---

١ – للتوسع أكثر يراجع كتاب " الدفاع عن خنادق الأيديولوجية " و " مقالات في الحركة والديالكتيك " و " الرؤية الكونية المادية ".

أولا: هذه الحالة ليست شاملة.
ثانيا: إن وجود مثل هذا التضاد في بعض الحوادث الكونية، لا يكون في موضوع واحد. وإن ما هو مستحيل هو اجتماع الضدين أو النقيضين في " موضوع واحد ".
ثالثا: إذا كانت كل ظاهرة مركبة من ضدين فلا بد أن يكون لكل واحد من الضدين بدوره (تز) وأنتي تز) تركيب آخر أيضا ونتيجة لذلك لا بد أن تتألف كل ظاهرة محدودة متناهية من أضداد غير متناهية!
لا يوجد أي دليل علمي على أن التضاد هو عامل الداخلي للحركة بالإضافة إلى أننا لا يمكن أن ننكر وجود الحركات الميكانيكية.
أصل الطفرة
الماركسيون يقولون بأن التغيرات الكمية حينما تبلغ درجة معينة، فإنها تتبدل إلى كيفية جديدة، وتكون سببا في حدوث التغيرات الكيفية النوعية فالماء مثلا حينما يوضع على النار ترتفع درجة حرارته، ولكن بارتفاع درجة حرارته إلى درجة معينة (١٠٠) فإنه سينقلب ويتبدل في تلك اللحظة إلى بخار.
المناقشة
أولا ليست هناك أية ظاهرة تتحول فيها الكمية إلى كيفية فمثلا درجة حرارة الماء لا تتبدل إلى بخار بل إن تبدل الماء إلى بخار مشروط بوجود درجة معينة من الحرارة.

ثانيا: من الممكن أن تحقق الكمية اللازمة نتيجة لتضاؤل الكمية السابقة ونقصانها كما في تبدل البخار إلى الماء فإنه مشروط بهبوط درجة الحرارة.
ثالثا: ان التغيرات الكيفية لا تحدث دائما بصورة دفعية ومفاجئة كما في ذوبان الشمع أو الزجاج.
إذن يلزم توفر كمية معينة لتحقق بعض الظواهر الطبيعية لا تبدل الكمية إلى كيفية ولا ضرورة الزيادة التدريجية للكمية ولا نتقبل أيضا شمولية هذا الشرط لكل التغيرات الكيفية والنوعية.
أصل نفي النفي
أصل نفي النفي (= قانون تطور الضدين، أو ديناميكية الطبيعة)، يعني به أنه في التغيرات الديالكتيكية ينفى ال " تز " بوساطة ال " أنتي تز " و ال " أنتي تز " بدوره ينفى بوساطة ال " سنتز " كما أن النطفة تنفي البيضة وهي بدورها تنتفي بالفرخة.
إن الحركة الديالكتيكية هي ارتقائية دائما ومتكاملة.
المناقشة
إن التفسير الذي ذكروه لهذا المبدء من أن الحركة ارتقائية تكاملية دائما وان الظاهرة اللاحقة لا بد أن تكون أكمل من السابقة تفسير غير صحيح ولا يقبل الشمول لكل الحركات والتغيرات الكونية، فهل اليورانيوم الذي يتبدل نتيجة لإشعاعاته إلى رصاص قد أصبح أكثر

تكاملا؟ وهل ان الماء يتكامل حينما يتحول إلى بخار أو البخار حينما يتحول إلى ماء؟

تذكار:

على تقدير ثبوت هذه المبادئ والأصول بصورة شاملة للكون كله، فإن أقصى ما يمكن أن تثبته هذه المبادئ أنها تفسر كيفية ظهور الظواهر كما هو الشأن في سائر المبادئ والقوانين الثابتة في العلوم الطبيعية ولكن وجود القوانين الكلية والشاملة والثابتة في الكون لا يعني عدم احتياج الظواهر والحوادث إلى المحدث والعلة الموجدة.

الأسئلة

١ - وضح الفرق بين المادية الميكانيكية والديالكتيكية.

٢ - وضح أصل التضاد والاعتراضات عليه.

٣ - وضح أصل الطفرة، والاعتراضات عليه.

٤ - بين أصل نفي النفي ومناقشته.

٥ - على تقدير صحة هذه الأصول وشموليتها فهل يثبت بها عدم احتياج الكون لخالق؟ ولماذا؟

الدرس ١٦
توحيد الله
ربما يمكن لنا القول حول نشأة المعتقدات المشتركة في البشرية بأن العامل الأول في الاتجاه للشرك وتعدد الآلهة هو مشاهدة تنوع الظواهر السماوية والأرضية ومن هنا فقد اعتقد بعض الناس بأن الخيرات مستندة لإله الخير والشرور مستندة لإله الشر والعامل الثاني هو ملاحظة مدى تأثير نور الشمس والقمر والكواكب في الظواهر الأرضية ولذلك اعتقد بعضهم بأن لها نوعا من الربوبية للموجودات الأرضية هذا من جهة.
ومن جهة أخرى: رغبة البشر في معبود محسوس وملموس دفعتهم إلى أن يصنعوا لتلك الآلهة المتوهمة تماثيل وتواتم (علامات ورسوم رمزية) واخذوا في عبادتها.
والعامل الآخر هو انه كان من وراء ذلك كله الجبابرة والطواغيت اللاهثون وراء السلطة وإشباع رغباتهم ومطامعهم الشريرة الذين أضفوا على أنفسهم لونا من الربوبية واعتبروا عبادة الطواغيت من جملة الطقوس الدينية.
فالمعتقدات والمبادئ المشركة تعتمد على أساس الإيمان بربوبية موجود آخر غير الله تعالى من الموجودات والظواهر الكونية بينما لا يمكن الانفكاك على عقيدتنا التوحيدية بين الخالقية والربوبية الحقيقية،

فلا ينفصل الإيمان بإحدهما عن الأخرى أبدا لأن مفهوم الربوبية ينتزع من كيفية خلق المخلوقات.

الدليل على توحيد الله

إن افتراض وجود إلهين، أو آلهة متعددة للكون لا يخرج عن ثلاث احتمالات:

١ – فإما أن نفترض أن كل واحدة من هذه الظواهر والكائنات الكونية مخلوقة ومعلولة لجميع هذه الآلهة.

٢ – وإما أن كل مجموعة منها معلولة لواحد من الآلهة المفترضة.

٣ – وإما أن نعتبرها جميعا مخلوقة لإله واحد وسائر الآلهة مدبرة للكون.

أما افتراض الأول محال لأن كل واحد منها يفيض وجودا ونتيجة لذلك توجد عدة وجودات بعدد الآلهة المفترضة مع أن كل موجود ليس له إلا وجود واحد.

وأما افتراض الثاني فيلزم منه أن كيون كل مخلوق قائما بخالقه ولا يحتاج لموجود آخر إلا الاحتياج الذي وينتهي بالتالي إلى خالقه وهو احتياج إلى خصوص مخلوقات خالقه أي ان افتراض الآلهة المتعددة للكون يلزم منه وجود أنظمة متعددة في الكون وكل واحد منها مستقل و منفصل عن الآخر مع أن للكون نظاما واحدا فهذا الكون الذي يحكمه نظام واحد لا يمكن أن يكون معلولا لعدة علل موجدة.

وأما الافتراض الثالث غير صحيح أيضا وذلك لأن كل معلول

قائم بكل شؤون وجوده بعلته الموجدة له وليس لأي موجود مستقل آخر سبيل للتصرف فيه إلا أن يكون من قبيل التفاعلات التي تتحق بإذنه التكويني وفي هذه الحالة لا تكون كل تلك الآلهة " ربا " إذ لا تكون تصرفاتهم وتأثيراتهم مستقلة.

فإذنه افتراض وجود مثل هذه الأرباب المدبرة للكون لا ينافي التوحيد في الربوبية كما أن الخالقية التي تتم بالإذن الإلهي لا تنافي التوحيد في الخالقية * (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني) * (١)، * (فالمدبرات أمرا) *. (٢)

والحاصل: إن التوهم بإمكان آلهة متعددة للكون، ناشئ من قياس الله بالعلل المادية والمعدة مع أنه لا يمكن أن نفترض لأي معلول عدة علل موجدة أو عدة أرباب مدبرة بالاستقلال.

واتضح مما سبق أن القول بالولاية التكوينية لبعض عباد الله الصالحين لا ينافي الإيمان بالتوحيد كما أن القول بالولاية التشريعية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين عليهم السلام لا ينافي الربوبية التشريعية الإلهية لأن

هذه الولاية إنما وجدت من الله تعالى وبالإذن الإلهي.

---

١ - المائدة: / ١١٠.

٢ - النازعات: / ٥.

الأسئلة

١ – إشرح العوامل التي أدت إلى وجود المعتقدات المشركة.

٢ – ما هي الأساس الذي ترتكز عليه المعتقدات المشركة؟

٣ – بين التلازم بين الخالقية والربوبية.

٤ – لماذا لا يمكن أن نفترض آلهة متعددة خالقة لحادث واحد؟

٥ – لماذا لا يمكن القول بأن كل مجموعة من المخلوقات مخلوقة لخالق معين؟

٦ – ما هو الاعتراض على القول بأن الكون كله مخلوق لإله واحد، و لكن في نفش س الوقت يفترض له أرباب ومدبرون عديدون؟

٧ – من أين نشأ التوهم بإمكان تعدد الآلهة، وكيف يمكن تفنيده؟

٨ – لماذا كان الاعتقاد بالولاية التكوينية لأولياء الله غير مناف للتوحيد في الخالقية والربوبية؟

معاني التوحيد
إن لفظة التوحيد تعنى لغويا " عد الشئ وجعله واحدا " وفى الاصطلاح تملك معاني متعددة؟ أشهرها عبارة من:
١ – نفى التعدد: أي نفى الكثرة في الخارج عن الذات، المقابل للشرك الصريح والاعتقاد بإلهين أو آلهة متعددة.
٢ – نفى التركيب: يعنى الاعتقاد بالبساطة في داخل الذات.
٣ – نفى الصفات الزائدة على الذات: والايمان باتحاد الصفات الذاتية مع عين الذات الإلهية.
والدليل على التوحيد الصفاتي: هو أنه لو كان لكل واحدة من الصفات الإلهية مصداق (وما بإزاء) مستقل فلا يخرج عن عدة حالات:
١ – اما أن نفترض مصاديقها في داخل الذات الإلهية ويلزم من هذا الافتراض أن تكون الذات الإلهية مركبة من أجزاء وهو محال.
٢ – واما أن نفترض بأن مصاديقها في خارج الذات الإلهية وفى هذه الحالة:
الف: اما أن نتصورها واجبة الوجود فهذا يعنى تعدد الذات وهو الشرك الصريح.

ب: وإما أن نتصورها ممكنة الوجود ومخلوقة لله فيلزم من ذلك القول بأن الذات الإلهية مع افتراض فقدانها لهذه الصفات هي التي تخلق هذه الصفات وتوجدها ثم بعد ذلك تتصف بها.

وببطلان هذه الفروض والاحتمالات يتضح لنا أن الصفات الإلهية ليست لها مصاديق مستقلة كل واحدة عن الأخرى، وعن الذات الإلهية بل إن هذه الصفات كلها مفاهيم ينتزعها العقل من مصداق واحد بسيط هو الذات الإلهية المقدسة.

٤ – التوحيد الأفعالي: ويمكن أن نثبت هذه الحقيقة (التوحيد الأفعالي) على ضوء الخاصة التي تتميز بها العلة الموجدة وهي القيومية بالنسبة لكل معلولاتها. ومن هذا المنظر أن ما يملكه ويتمتع به أي موجود إنما حصل له من تلك العلة الموجدة، وهو خاضع لقدرة الله وسلطانه و وملكيته الحقيقية والتكوينية وأما ملكية الآخرين وقدرتهم فهي مستمدة منها، ومن متفرعاتها، وفى طول القدرة الإلهية.

٥ – التأثير الاستقلالي: (١) أي ان المخلوقات الإلهية لا يمكنها الاستغناء في أفعالها عن الله تعالى، وإن الموجود الوحيد الذي يفيض تأثيره في كل مكان وفى كل شئ بصورة مستقلة وبدون احتياجه لغيره هو الذات الإلهية المقدسة وأما فاعلية الآخرين وتأثيرهم فهي في طول فاعليته وتأثيره وفى ظله ومدده.

والفاعلية التكوينية لها سلسلة من المراتب أيضا وبما أن وجود كل فاعل قائم بالإرادة الإلهية كانت الآثار الوجودية التي تصدر من كل فاعل و مؤثر منوطة في مرتبتها العليا بالإذن والإرادة التكوينية الإلهية ومستندة

---

١ – والعرفاء يستخدمون تعبير " التوحيد الأفعالي بهذا المعنى.

إلى الله تعالى (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم).

نتيجتان مهمتان

النتيجة الأولى للتوحيد الأفعالي هي أن لا يرى الإنسان أي أحد وأي شئ غير الله تعالى، مستحقا للعبادة لان الألوهية لازمة للخالقية والربوبية.

والنتيجة الثانية للتوحيد هي أن يعتمد الإنسان في كل أحواله على الله تعالى، وأن يتوكل عليه، ويستعين به في كل أعماله، وأن لا يستمد المدد إلا منه، وأن لا يكون له خوف أو رجاء إلا منه وبه.

وقد أودعت هاتان النتيجتان في هذه الآية الشريفة: (إياك نعبد وإياك نستعين).

الجواب عن شبهة

الشبهة: إن التوحيد الكامل لا يلائم التوسل بأولياء الله.

والجواب لو كان التوسل بمعنى: ان الله تعالى جعل الولي وسيلة للتوصل إلى رحمته تعالى، وقد أمر تعالى الناس أن يتوسلوا بهذا الولي فهذا التوسل كما أنه لا ينافي التوحيد، فإنه يعتبر أيضا من شؤون التوحيد في العبادة والطاعة، إذ انه يتم بأمره تعالى.

والحكمة في أن لله أمر بالتوسل هو التعريف بالمستويات الرفيعة لعباده الصالحين ودفع الآخرين وحثهم على العبادة والطاعة التي تؤدى بالآخرين إلى الوصول لمثل هذه المستويات الرفيعة وأن يمنع من حصول

الغرور والاعتداد للبعض بعبادته.

الأسئلة

١ – بين المعنى اللغوي والمعنى المصطلح للتوحيد.
٢ – ما هو الدليل على التوحيد الصفاتي؟
٣ – كيف يمكن إثبات التوحيد الأفعالي؟
٤ – وضح التوحيد بمعنى التوحيد في التأثير الاستقلالي.
٥ – ما هي النتائج المترتبة على القسمين الأخرين من التوحيد؟
٦ – هل إن التوسل بأولياء الله ينافي التوحيد؟ ولماذا؟
٧ – ما هي الحكمة في أمر الله تعالى بالتوسل؟

الجبر والاختيار
عدم الرشد العقلي اللازم وعدم الاستفادة والاقتباس من تعاليم الأئمة المعصومين، والمفسرين الحقيقيين للقرآن الكريم أوجب ان عرضت لبعض الناس الكثير من الانحرافات والشبهات حتى فسروا التوحيد في التأثير الاستقلالي بحصر كل تأثير وعليه بالله تعالى.
وإن من النتائج الخطيرة والمضلة لهذا الانحراف الفكري هو القول بجبرية الإنسان ونفى المسؤولية عنه، وهو يعنى عدم فائدة كل الأنظمة التربوية والأخلاقية والقانونية والحقوقية ومنها النظام التشريعي الإسلامي.
وكذلك لاستلزم هذا الانحراف الفكري عبثية النظام التكويني وعدم غائيته وذلك لأن الهدف من خلق عالم الطبيعة هو الإعداد وتوفير الأرضية الملائمة لخلق الإنسان ليتوصل من خلال فعالياته و ممارساته الاختيارية وعبادته وعبوديته لله تعالى إلى أرفع الكمالات الإمكانية ومقام القرب الإلهي.
إن أهم العوامل لهذا الاتجاه (القول بالجبر) هو المطامع السياسية للحكومات الجائرة المجرمة لان الجبرية أهم عامل في تخدير الشعوب

لإمكانها التوجه والتبرير لتصرفات الحكومات الجائرة ومواقفها المنكرة وكذلك الذين لم يقدروا على التوفيق بين التوحيد الكامل ونفى الجبرية اتجهوا إلى الاعتقاد بالتفويض، وقالوا بخروج الأفعال الاختيارية للإنسان عن نطاق الفاعلية الإلهية.

ولكن أولئك الذين كانوا يملكون الاستعداد الكافي الذي يؤهلهم لإدراك هذه المعارف وفهمها وتعرفوا على المعلمين والمفسرين الحقيقيين للقرآن الكريم، وانتهلوا منهم فإنهم حفظوا من الإصابة بمثل هذه الأمراض والانحرافات واعتقدوا بأن فاعليتهم الاختيارية مستمدة من القدرة التي منحها الله تعالى لهم وأدركوا التأثير الاستقلالي الإلهي في مرتبة أعلى وأسمى.

توضيح الاختيار

إن الإنسان يدرك القدرة على اتخاذ القرار والاختيار في ذاته وداخله بعلمه الحضوري الذي لا يخطئ ولا يشتبه. وإن التصميم على القيام بعمل تارة يتم لأجل إشباع الدوافع الغريزية والحيوانية وتارة أخرى يتم لأجل إرضاء الدوافع والاحتياجات العقلية إنما تظهر قيمة الإنسان حينما تتعارض وتتزاحم الرغبات المختلفة والإنسان من أجل الوصول إلى القرب والرضوان الإلهي يعرض عن الرغبات الحيوانية المنحطة الوضيعة بدون الاعتقاد بوجود الإرادة فلا يبقى مجال للوظيفة والتكليف والذم والمدح والعقاب والثواب.

مناقشة شبهات الجبريين

الشبهة الأولى: إن إرادة الإنسان إنما تتكون وتتشكل بفعل إثارة الميول الداخلية وتنبيهها.

والجواب: ان إثارة الميول معدة للإرادة والتصميم لا أن التصميم على القيام بعمل نتيجة جبرية وحتمية لإثارة الميول.

الشبهة الثانية: الوراثة وإفرازات الغدد وكذلك العوامل المحيطة والاجتماعية تؤثر في تشكل إرادة الإنسان.

والجواب: أن الاعتقاد بالاختيار والإرادة الحرة لا يعني رفض هذه العوامل وتأثيرها بل إنما يعني أنه بالرغم من وجود كل هذه العوامل فإن للإنسان الخيار والقدرة حين تتعارض وتتزاحم الدوافع المختلفة.

الشبهة الثالثة: إن الله تعالى عالم بأفعال الإنسان قبل وقوعها إذن فلا بد أن تتحقق كلها وفق العلم الإلهي الأزلي، إذن فلا يبقى مجال لاختيار الإنسان.

والجواب: أن الأفعال الاختيارية معلومة لله تعالى بما هي عليه في الواقع وبوصف اختياريتها وإرادتها فإذا حدثت هذه الأفعال على صفة الجبرية تكون قد تحققت على خلاف العلم الإلهي وتخلفت عنه.

الأسئلة

١ – اشرح العوامل التي أدت إلى الاتجاه إلى الجبرية وانتشارها.

٢ – ما هي النتائج السيئة لهذا الاتجاه؟

٣ – وضح وجود الاختيار والإرادة الحرة في الإنسان.

٤ – هل إن تأثير الميول الداخلية والعوامل المثيرة لها منافية لاختيار الإنسان؟ ولماذا؟

٥ – ما هو الفرق بين أولئك الذي يخضعون لتأثير بعض الحالات و الانفعالات النفسية غير العادية والظروف الصعبة والذين لا يخضعون؟

٦ – هل إن تأثير الوراثة والعوامل المحيطية والاجتماعية مستلزم للجبر؟ ولماذا؟

٧ – هل إن العلم الإلهي الأزلي ينفي اختيار الإنسان؟ ولماذا؟

* * *

الدرس ١٩
القضاء والقدر
مفهوم القضاء والقدر
إن لفظة " القدر " بمعنى المقدار و " التقدير " يعني قياس الشئ وجعله على مقدار وصنع كل شئ بحد معين ولفظة " القضاء " بمعنى الإتمام والفراغ من الشئ أو الأداء والحكم.
والمراد من التقدير الإلهي أن الله تعالى جعل لك حادث مقدارا و حدودا كمية وكيفية وزمانية ومكانية معينة في تحققه بفعل العلل والعوامل التدريجية والمراد من القضاء الإلهي إيصال الحادث إلى مرحلته النهائية والحتمية بعد توفر المقدمات والأسباب والشروط لذلك الحادث.
تكون مرحلة التقدير متقدمة على مرحلة القضاء حيث تكون للتقدير مراحل تدريجية وأما مرحلة القضاء فهي دفعية وليست تدريجية، ومرتبطة بتوفر كل الأسباب والشروط وهي أيضا حتمية لا تقبل التغير. (١)
ويستعمل " القضاء والقدر " كلفظين مترادفين أحيانا ومن هنا يقسم للحتمي وغير الحتمي.

---

١ - آل عمران / ٤٧ وتراجع الآيات التالية أيضا البقرة / ١١٧، مريم / ٥٣، غافر / ٦٨.

القضاء والقدر العلمي والعيني
يستعمل التقدير والقضاء الإلهي أحيانا، بمعنى علم الله بتوفر المقدمات والشروط المؤثرة في تحقق الظواهر وكذلك علمه بالوقوع الحتمي لها، ويطلق على ذلك " القضاء والقدر العلمي " وأحيانا يستعمل بمعنى انتساب المسيرة التدريجية للظواهر، وكذلك انتساب تحققها العيني، إلى الله تعالى ويطلق عليه " القضاء والقدر العيني ".
ووفقا لما يستفاد من الآيات والروايات فإن العلم الإلهي بكل الظواهر مودع في مخلوق شريف رفيع، يسمى " اللوح المحفوظ ". وهناك ألواح أخر أقل رتبة ومقاما من اللوح المحفوظ، أودعت فيها الظواهر بصورة مشروطة وغير تامة. ومن يشرف ويتعرف عليها ستكون له معلومات محدودة وناقصة ومشروطة قابلة للتغير (١) وتغير التقديرات المشروطة وغير الحتمية يعبر عنه في الروايات ب " البداء ".
العلاقة بين القضاء والقدر، واختيار الإنسان
إن الاعتقاد بالقضاء والقدر العيني الإلهي، يقتضى الاعتقاد بأن وجود الظواهر من بداية وجودها كلها خاضعة للتدبير الإلهي الحكيم، ومستندة إلى الإرادة الإلهية.
وأما إسناد الظواهر إلى الإذن بل حتى للمشية الإلهية، فهو أيسر فهما وأقرب إلى الأذهان، خلافا لإسناد مرحلتها النهائية وتعينها الحتمي

---

١ - الرعد: ٣٩

للقضاء الإلهي وذلك لأنه يصعب التوفيق بين هذا الإيمان، والإيمان باختيار الإنسان في رسم مصيره وتحديده لذلك رأينا بعض المتكلمين (الأشاعرة) قد اتجهوا إلى القول بالجبر، بينما نرى جماعة أخرى (المعتزلة) قد أنكروا شمول القضاء الإلهي لأفعال الإنسان الاختيارية.

الاشكال:

إن فعل الإنسان إذا كان اختياريا حقا، ومستندا لإرادته، فكيف يمكن القول باستناده لإرادة الله وقضائه؟ وإذا كان مستندا للقضاء الإلهي فكيف يمكن القول بأنه خاضع لإرادة الإنسان واختياره؟

ولأجل الجواب عن هذا الاشكال يلزم علينا أن نبحث حول أنواع استناد المعلول الواحد لعلل متعددة.

أنواع تأثير العلل المتعددة

يمكن أن يتصور تأثير العلل المتعددة في وجود ظاهرة ما، بعدة صور:

١ – أن تؤثر العلل المتعددة معا.

٢ – أن تتناوب العلل في التأثير.

٣ – أن يكون تأثير كل واحد منها مترتبا على الآخر بحيث يكون وجود كل واحد منها مرتبطا بالآخر.

٤ – التأثير المترتب على علل وعوامل متعددة طولية، بحيث يكون وجود كل منها مرتبطا بوجود الآخر.

وتأثير الإرادة الإلهية وإرادة الإنسان في الفعل الاختياري من القسم

الأخير، إذ إن وجود الإنسان وإرادته مرتبطان بالإرادة الإلهية.
وما يجب أن يعلم هو انه لا يمكن أن تجمع علتان موجدتان على معلول واحد أو علتان يمتنع الجمع بينهما في التأثير في عرض ومستوى واحد وعلى البدل كما لو فرضنا صدور إرادة واحدة من فاعلين مريدين أو استناد ظاهرة واحدة إلى مجموعتين من العلل (علتين تامتين).

مناقشة شبهة

إن استناد وجود الأفعال الاختيارية الإنسانية إلى الله تعالى واستنادها للانسان نفسه يتحقق على نحو يكون أحدهما في طول الآخر، ولا تزاحم بينهما.
إذن فتأثير إرادة الإنسان التي هي من قبيل " الجزء الأخير للعلة التامة " في فعله لا ينافي استناد جميع العلة التامة إلى الله تعالى.
وذلك لأن هاتين الإرادتين ليستا في عرض ومستوى واحد، ولا يمتنع الجمع بينهما، وليس كما ذكر، بأن هذه الأفعال إما أن تكون مستندة لإرادة الإنسان أو مستندة لإرادة الله. بل إن إرادة الإنسان كأصل وجوده نفسه مرتبطة بالإرادة الإلهية ووجود الإلهية ضروري لتحققها. (١)

معطيات الاعتقاد بالقضاء والقدر

١ – معرفة الله وتكامل الإنسان عقليا.
٢ – عدم الخوف من الأحداث المؤلمة.

---

١ – التكوير / ٢٩: (وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين).

٣ – تحصيل الملكات الفاضلة، أمثال الصبر والتوكل والرضا و التسليم وغيرها.
٤ – عدم الخداع من ملذات الحياة وأفراحها. (١)

الأسئلة

١ – بين المفهوم اللغوي للقضاء والقدر.
٢ – ماذا يعنى التقدير والقضاء الإلهي؟
٣ – على أي أساس يقسم القضاء والقدر إلى حتمي وغير حتمي؟
٤ – ما هو البداء؟
٥ – بين القضاء والقدر العلمي والعيني.
٦ – وضح اللوح المحفوظ، ولوح المحو والإثبات، وعلاقتهما بالمصير الحتمي وغير الحتمي.
٧ – وضح صعوبة التوفيق بين القضاء والقدر واختيار الانسان، و اختلاف آراء المتكلمين حول هذا الموضوع.
٨ – بين أنواع تأثير العلل المتعددة في المعلول الواحد، ووضح النوع الذي يستحيل فيه اجتماع العلل المتعددة على المعلول الواحد.
٩ – بين الجواب عن شبهة الجبر في موضوع القضاء والقدر.
١٠ – إشرح آثار الاعتقاد بالقضاء والقدر الإلهي.

---

١ – الحديد: ٢٢ و ٢٣

العدل الإلهي

المقدمة

إن الشيعة والمعتزلة في رأيهم حول موضوع العدل الإلهي وأطلق عليهما مصطلح " العدلية " مقابل الأشاعرة. ولأجل أهمية هذا الموضوع، اعتبر من المواضيع الرئيسية في علم الكلام ومميزات المذهب الكلامي للشيعة والمعتزلة.

إن البحث في هذا الموضوع يدور حول ما إذا كان يمكن للعقل بنفسه أن يدرك ويتوصل إلى ضوابط للأفعال، وخاصة الأفعال الإلهية، يحكم على أساسها بلزوم القيام بهذا الفعل، وترك الفعل الآخر. فالمحور الأساسي للخلاف يعبر عنه ب " الحسن والقبح العقليين " وقد أنكره الأشاعرة واعتقدوا بأن الحسن في الأمور التكوينية هو ما يفعله الله، وأما في الأمور التشريعية فالحسن ما يأمر به الله. وليس الفعل في ذاته حسنا و لأجل ذلك يفعله الله، أو يأمر به.

وأما العدلية، فيعتقدون بأن الأفعال تتصف في ذاتها بالحسن و القبح بغض النظر عن انتسابها التكويني والتشريعي لله تعالى. ويمكن للعقل إلى حد ما أن يدرك جهات الحسن والقبح في الأفعال.

مفهوم العدل
العدل في اللغة بمعنى السوية. وفى العرف العام استعمل بمعنى رعاية حقوق الآخرين، " إعطاء كل ذي حق حقه " ولكن أحيانا هكذا يعرف " وضع الشئ في موضعه " وعلى وفق هذا التعريف، يكون العدل مرادفا للحكمة، والفعل العادل مساويا للفعل الحكيم.
إذن فيمكن أن يتصور للعدل مفهومان خاص وعام. أحدهما: رعاية حقوق الآخرين والثاني: إصدار الفعل على وجه الحكمة، بحيث تعتبر رعاية حقوق الآخرين من مصاديقه.
وعلى ضوء ذلك، فلا يلازم العدل، القول بالتسوية بين البشر جميعا، أو بين الأشياء كلها، وكذلك فان مقتضى الحكمة والعدل الإلهي لا يعنى خلق المخلوقات بصورة متساوية فيخلق – مثلا – للإنسان القرون، أو الأجنحة أو غيرها بل إن مقتضى حكمة الخالق وعدله أن يخلق العالم بصورة تترتب عليها أكثر ما يمكن تحققه من الخير والكمال. وكذلك مقتضى الحكمة والعدل الإلهي أن يكلف كل إنسان بمقدار استعداده و قابليته (١)، وأن يقضي (٢) ويحكم فيه على حسب قدرته وجهده الاختياري وأن يجازيه (٣) ثوابا أو عقابا بما يتلاءم وأفعاله.

---

١ – * (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) * (البقرة / ٢٨٦).
٢ – * (وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) * (يونس / ٥٤).
٣ – * (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعلمون) * (يس / ٥٤).

الدليل على العدل الإلهي
إن الله تعالى يمتلك أسمى مراتب القدرة والاختيار ولكنه تعالى لا يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال، بل إنما يفعل الذي يريده، وليست إرادته تعالى عابثة جزافية فإنه تعالى لا يريد إلا ما يتناسب وتقتضيه صفاته الكمالية.
فمقتضى الصفات الإلهية الكمالية أن يخلق العالم بصورة يتوفر في مجموعة الكمال الغالب والخير الممكن الحصول ومن هنا تثبت صفة الحكمة لله تعالى.
وعلى هذا الأساس فإن الإرادة الإلهية إنما تعلقت بخلق الإنسان لأن وجوده منشأ للخير الغالب ولأكثر الخيرات. ومن المميزات الرئيسية للإنسان اختياره وإرادته الحرة التي يعد من الكمالات الوجودية ولكن ما يلازم اختيارية الإنسان أن يكون قادرا على ممارسة الأفعال الحسنة الخيرة وكذلك يكون قادرا على ارتكاب الأفعال القبيحة والمنكرة لتتجه به إلى السقوط في حضيض الخسران والشقاء الأبدي فما تتعلق به الإرادة الإلهية أصالة هو تكامله، ولكن بما أنه يلزم من التكامل الاختياري للإنسان إمكان السقوط والانحطاط أيضا، تتعلق الإرادة الإلهية بالتبع بهذا السقوط الاختياري
وبما أن الاختيار الواعي الشعوري محتاج إلى المعرفة الصحيحة السليمة لطرق الخير والشر، وفر تعالى مستلزمات الحركة التكاملية (المعرفة الصحيحة) وبما أن التكاليف الإلهية إنما وضعت وشرعت لهدف توصل الإنسان إلى نتائج العمل بهذه التكاليف الإلهية اقتضت الحكمة الإلهية أن

تكون هذه التكاليف متلائمة ومتناسبة مع قدرات المكلفين وذلك لأن التكليف الذي لا يقدر على امتثاله لغو لا فائدة فيه.

مراحل العدل الإلهي:

١ – العدالة في مجال التكليف.

٢ – العدالة في مجال الحكم والقضاء.

٣ – العدالة في مجال تنفيذ المجازاة ثوابا وعقابا.

فالدليل على العدل هو: أن صفات الله الذاتية تقتضي أن تكون أفعاله تعالى حكيمة وعادلة، ولا توجد في الله تعالى أية صفة تقتضي الظلم والجور، أو اللغو والعبث.

شبهات وحلول

ش ١ – كيف تتلاءم الفروق والاختلافات الموجودة في المخلوقات وخاصة البشر مع العدل والحكمة والإلهية؟

والجواب: إن اختلاف المخلوقات في المعطيات الوجودية أمر لازم لنظام الخلق لأنه لو كان كل أفراد البشر رجالا، أو نساء لما تحقق التوالد والتناسل أبدا، ولا نقرض النوع الإنساني ولو كانت المخلوقات جميعا من نوع الإنسان لما وجدت شيئا للغذاء أو ما يوفر لها سائر متطلباتها و حاجاتها. وظهور الظواهر خاضع للعوامل والظروف والشروط المتوفرة في مسيرة حركة المادة وتبدلها وليس لأحد الحق – قبل الخلق – أن يفرض على الله تعالى طريقة الخلق ويأمره بأن يخلق بهذه الصورة أو تلك.

ش ٢ – إذا كانت الحكمة الإلهية مقتضية لحياة الإنسان في هذا العالم، إذن لماذا بعد ذلك يميته وينهي حياته؟

والجواب: أولا: إن حياة الموجودات أو موتها خاضع أيضا للقوانين التكوينية وهي لازمة لنظام الخلق.

ثانيا: إذا لم تمت الموجودات الحية، فسوف لن تتوفر الأرضية لوجود الموجودات اللاحقة.

ثالثا: إذا افترضنا استمرارية الحياة للبشر جميعا فسوف لن يمضي زمان طويل إلا ونرى الأرض كلها قد امتلأت بالناس وتضيق عليهم الأرض برحبها، ليتمنى كل واحد منهم الموت لما يشعر به من متاعب وألم و جوع.

رابعا: إن الهدف الأصلي من خلق الإنسان هو الوصول إلى السعادة الأبدية وإذا لم ينتقل الناس من هذا العالم بالموت إلى الحياة الأخرى فسوف لن يمكنهم الوصول لذلك الهدف النهائي.

ش ٣ – إن وجود المصائب والأمراض والكوارث الطبيعية والمتاعب الاجتماعية كيف يتلاءم هذا كله مع العدل الإلهي؟

والجواب: أولا: إن الحوادث الطبيعية المؤلمة ملازمة لأفعال العوامل المادية وانفعالاتها وتصادمها والتزاحم بينها، وبما أن خيرات هذه العوامل أكثر من شرورها، لذلك لا تكون مخالفة للحكمة وكذلك ظهور المتاعب والمفاسد والاجتماعية مما تقتضيها اختيارية الإنسان.

ثانيا: ان وجود هذه المتاعب والكوارث تدفع الإنسان – من جهة –

إلى البحث عن افتضاض أسرار الطبيعة والكشف عنها، ومن جهة أخرى فإن خوض هذه المتاعب ومواجهتها وعلاجها له دور كبير في تنمية الطاقات والاستعدادات ورشدها وتفجيرها.

ش ٤ – كيف يتلاءم العذاب الأبدي للذنوب المحدودة والمؤقتة التي يرتكبها المذنبون في هذا العالم مع العدل الإلهي؟

الجواب: هناك علاقة علية بين الأعمال الحسنة والقبيحة وبين الثواب والعقاب الأخرويين قد كشف عنها الوحي الإلهي ونبه الناس عليها و كما أننا نلاحظ في عالم الدنيا أن هناك بعض الجرائم تعقبها آثار سيئة تمتد إلى مدة طويلة رغم قصر مدة الجريمة فمثلا لو فقأ الإنسان عينه هو، أو عيون الآخرون فأعماها فإن هذا الفعل يتم في مدة قصيرة جدا ولكن نتيجته – وهي العمى – تمتد إلى نهاية العمر. وكذلك الذنوب الكبيرة لها آثارها الأخروية الأبدية وإذا لم يوفر الإنسان في هذه الدنيا مستلزمات جبرانها، (كالتوبة مثلا) فإنه سوف يعيش آثارها السيئة وإلى الأبد.

الأسئلة

١ – ما هي جذور الاختلاف في موضوع العدل الإلهي؟
٢ – وضح مفهوم العدل.
٣ – هل إن مقتضى العدل تساوي الموجودات جميعا واتحادها؟
٤ – بين ما تستلزمه الحكمة والعدل الإلهي؟
٥ – ما هو الدليل على العدل الإلهي؟
٦ – ما هو الهدف من خلق الإنسان؟
٧ – كيف تتلاءم الفروق التكوينية بين المخلوقات مع الحكمة و العدل الإلهي؟ ٨ – لماذا يميت الله الحكيم مخلوقاته؟
٩ – كيف تتلاءم الكوارث الطبيعية والاجتماعية مع العدل الإلهي؟
١٠ – كيف تستوجب الذنوب المؤقتة المحدودة عذابا غير مؤقت ولا محدود؟

(٢)
معرفة النبوة والإمامة

الدرس ٢١
نظرة حول مسائل النبوة
الأصول الثلاثة (التوحيد، والمعاد، والنبوة) تعتبر الأصول الرئيسة لكل الأديان السماوية.
في قسم " التوحيد " توصلنا إلى أن كل المخلوقات تستمد وجودها من الخالق الواحد، وجميعها في ظل تدبيره ولا يمكن لأي أحد الاستغناء عنه في كل شئ وفي كل عمل وفي كل عمل وفي أي زمان ومكان.
المسائل التي ترتبط بالتوحيد لا يمكن إثباتها إلا عن طريق العقل، لأن الاستدلال التعبدي والاستناد إلى كلام الله إنما يكون صحيحا فيما إذا ثبت – بالدليل العقلي – مسبقا وجود الله وكلامه واعتبار كلامه فلابد – إذن – من إثبات أصل النبوة بالدليل العقلي أيضا.
أجل... بعد إثبات أن القرآن الكريم على حق يمكن لنا أن نستنبط تفصيلات هذه المسائل من هذا المصدر الإلهي وكذلك يلزم إثبات تفاصيل المعاد من طريق الوحي وإن كان أصل المعاد نفسه يمكن إثباته بالدليل العقلي والدليل النقلي أيضا.
الهدف من بحوث هذا الجزء
الهدف الأول من بحوث هذا الجزء من الكتاب هو: إثبات فكرة

وجود وسيلة أخرى غير الحس والعقل وهذه الوسيلة هي " الوحي " وهو نوع من التعليم الإلهي يختص به بعض عباد الله المصطفين والمنتجبين، و يجهل حقيقته وكنهه عامة البشر.

المسائل الأساس لهذا الجزء

ضرورة بعثة الأنبياء ووجوب عصمة الأنبياء في تلقي الرسالة الإلهية وإبلاغها وكذلك وجود طريق تثبت به للآخرين نبوة الأنبياء تعتبر من جملة المسائل الأساس لهذا الجزء.

منهج البحث في علم الكلام

إن الفلسفة إنما تبحث في المسائل التي يتم إثباتها بالأدلة العقلية بينما يشمل علم الكلام المسائل التي لا يمكن إثباتها إلا بالدليل النقلي والتعبدي وإن منهج البحث في علم الكلام " تلفيقي " و " ثنائي " و يمكن الاستفادة في هذا العلم من الأسلوب التعبدي العقلي ومن الأسلوب التعبدي أيضا.

هناك فرقان أساسيان بين الفلسفة والكلام:

الأول: إن لكل منهما مسائل يختص بها لا يبحث عنها في العلم الآخر.

الثاني: إن منهج البحث في مسائل الفلسفة جميعها منهج عقلي بخلاف علم الكلام ففي بعض مسائله يستفاد من المنهج العقلي وفي مسائل أخرى (أمثال مسائل الإمامة) يستفاد من الأسلوب النقلي وفي

بعض مسائله يستفاد من كلا المنهجين (أمثال إثبات أصل المعاد)
إن المسائل المختصة بعلم الكلام تنقسم إلى ثلاثة أقسام:
١ – حجية قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفعله (أي السنة)
٢ – تعيين خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحجية أقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام.
٣ – طرح مسائل أخرى استنادا إلى كلام الأئمة الأطهار – سلام الله عليهم أجمعين –.

الأسئلة

١ – لماذا بينا مسائل فصل التوحيد بالأسلوب العقلي فقط؟
٢ – ما هي المسائل الأساس لفصل النبوة؟
٣ – هل يمكن إثبات المسائل الأساس للنبوة والمعاد بالأدلة النقلية؟ وهل هناك فرق بين هاتين المجموعتين؟
٤ – أية مسائل من علم الكلام يمكن إثباتها بالأدلة النقلية؟
٥ – ما هو السبب في تقديم فصل النبوة على فصل المعاد؟ وهل هناك ترتيب منطقي آخر تنظم به مسائل هذين الفصلين؟
٦ – ما هي الفروق بين الفلسفة والكلام؟
٧ – كم قسما يمكن تقسيم علم الكلام من حيث اثباتها؟ اذكرها بالترتيب.

الدرس ٢٢
حاجة البشر إلى الوحي والنبوة
ضرورة بعثة الأنبياء
وان برهان ضرورة بعثة الأنبياء مؤلف من ثلاث مقدمات:
١ – إن الهدف من خلق الإنسان هو: السير في طريق تكامله من خلال ممارسة الأفعال الاختيارية ليكون مستحقا وأهلا للحصول على الرحمة التي يختص بها الأفراد المتكاملون.
٢ – إن الاختيار الواعي والشعوري – إضافة إلى احتياجه للقدرة – يحتاج أيضا إلى المعرفة الصحيحة حول الأعمال الحسنة والأعمال القبيحة و مقتضى الحكمة الإلهية أن توفر للبشر الوسائل والمستلزمات الضروري للحصول على مثل هذه المعارف والمدركات.
والإرادة الإلهية الحكمية إنما تعلقت – أصالة – بكمال الإنسان و سعادته ولكن بما أن هذا الكمال والسعادة السامية لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق ممارسة الأفعال الاختيارية لذلك جعل مسار الحياة البشرية على مفترق طريقين واتجاهين لتتوفر بذلك أجواء الاختيار و الانتخاب وبالطبع فان أحد الطريقين يؤدي نحو الشقاء والعذاب لتتعلق به الإرادة الإلهية بالتبع لا بأصالة.

٣ – إن معارف ومدركات البشر العادية والمتعارفة لا تكفي في التعرف على طريق الكمال والسعادة الحقيقية.

النتيجة:

إن الحكمة الإلهية تقتضي وضع آخر للبشر وهذا الطريق هو الوحي الذي وضعه الله للأنبياء ليستفيدوا هم منه بصورة مباشرة و ليستفيد منه الآخرون عن طريق الأنبياء.

قصور المعرفة البشرية

إن الإحاطة بكل الأمور التي تتعلق بالحياة الدنيوية والأخروية للإنسان لا تتيسر وليس لفرد أو لجماعة معينة فحسب بل للآلاف من الجماعات المتخصصة في مختلف العلوم المرتبطة بالإنسان لا يمكنهم اكتشاف مثل هذه المعايير والقواعد المعقدة وبيانها على شكل قوانين و أحكام دقيقة ومضبوطة ومحددة لتكفل بذلك كل المصالح الفردية و الاجتماعية لكل البشر.

إن ما يلاحظ من مسيرة التغيرات الحقوقية والقانونية عبر تاريخ البشر مؤشر على أنه لم يوجد حتى اليوم نظام حقوقي وقانوني صحيح و كامل وشامل وأنهم استفادوا كثيرا – في تقنين هذه القوانين وتدوينها – من الأنظمة الحقوقية والقانونية الإلهية والشرائع السماوية إن كل جهود المقننين الحقوقيين متوجهة لتوفير المصالح الدنيوية والاجتماعية دون الاهتمام بتوفير المصالح الأخروية إن المصالح المعنوية والأخروية فإنها لا تقبل التجربة الحسية ولا يمكن تقويمها بدقة وحين تتزاحم وتتعارض

مع المصالح المادية والدنيوية فلا يمكن التعرف على معيار لقياس أهمية إحداهما.

إن الهدف من خلق الإنسان من البداية حتى النهاية إنما يقبل التحقق في أرض الواقع فيما لو وجد طريق آخر غير الحس والعقل – لمعرفة حقائق الحياة والوظائف الفردية والاجتماعية وليس هذا الطريق إلا الوحي.

ولا بد أن يكون الإنسان الأول نبيا ليتعرف على الطريق الصحيح للحياة عن طريق الوحي وليتحقق فيه الهدف من الخلق وليهتدي به الآخرون.

فوائد بعثة الأنبياء

للأنبياء الإلهيين إضافة إلى تعريف البشر وهدايتهم إلى طريق الصحيح فوائد وتأثيرات مهمة أخرى في مجال تكامل البشر وأهمها ما يلي:

١ – تذكيرهم وتأكيدهم الدائم على الأمور التي يغفل عنها العقل الإنساني ولذلك يطلق " المذكر والنذير " على الأنبياء ويسمى القرآن الكريم ب " الذكر والذكرى، والتذكرة ".

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حين يستعرض الفوائد والحكم من بعثة الأنبياء:

" ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ".

٢ – قيامهم بدور القدوة. إنهم بالإضافة إلى التعليمات والمعلومات

التي يزودون بها البشرية يقومون بمهمة تربية الناس وتزكيتهم.
٣ – تولي القيادة في المجالات الاجتماعية والسياسية والقضائية.
الأسئلة
١ – ما هو الهدف من خلق الإنسان؟
٢ – هل تعلقت الإرادة الإلهية الحكيمة بشقاء الإنسان وعذابه كما تعلقت بسعادته ورحمته؟ أم هناك فرق بينهما؟
٣ – ما هي الأمور التي يحتاج إليها الإنسان في ممارسة اختياره و انتخابه الواعي الشعوري؟
٤ – لماذا لا يكفي العقل البشري في توفير كل المعارف اللازمة؟
٥ – بين الدليل على ضرورة بعثة الأنبياء.
٦ – إذا كان يمكن للإنسان التعرف على طريق سعادته الدنيوية والأخروية من خلال الاستفادة من تجاربه الطويلة أفلا يحتاج للوحي بعد ذلك؟ لماذا؟
٧ – هل يمكن إقامة الدليل العقلي على نبوة الإنسان الأول؟ وكيف؟
٨ – بين سائر الفوائد من وجود الأنبياء.

الدرس ٢٣
شبهات وحلول
الشبهة الأولى
إذا كانت الحكمة الإلهية تقتضي بعثة الأنبياء لهداية الناس جميعا إذن لماذا بعث جميع الأنبياء في منطقة جغرافية معينة (الشرق الأوسط) بينما بقيت المناطق الأخرى من المعمورة محرومة من هذه النعمة؟
والجواب أولا: إن ظهور الأنبياء عليهم السلام لم يختص بمنطقة خاصة، و الآيات القرآنية الكريمة تدل على أنه كان لكل قوم وأمة نبي * (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) *. (١)
* (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) *. (٢)
ثانيا: عدم حرمان الناس عن الهداية فمشروط بشرطين:
أحدهما: اختبارهم الاستفادة والتزود من هذه النعمة الإلهية (الهداية).
ثانيهما أن لا يضع الآخرون موانع وعقبات في طريق هدايتهم.

---

١ - فاطر / ٢٤.
٢ - النحل / ٣٦.

والملاحظ أن حرمان الكثير من هداية الأنبياء إنما نشأ من سوء اختيارهم أو نتيجة للموانع التي وضعها الآخرون في طريق رسالة الأنبياء و انتشارها.

إن الأنبياء قد بذلوا أقصى جهودهم في إزالة هذه الموانع والعقبات واندفعوا لمكافحة أعداء الله وخاصة المستكبرين والجبابرة.

نكتة: إن هذه الخصوصية وهي (اختيارية المسيرة التكاملية للإنسان) تفرض أن تتم كل هذه القضايا والمواقف بالصورة التي تبقى معها الأجواء إلي يلزم توفرها للاختيار الحسن أو السئ لأحد الاتجاهين: (الحق والباطل).

والحاصل إنه لو لم توجد الموانع والعقبات في طريق الأنبياء لوصلت دعوتهم إلى أسماع البشر جميعا في العالم.

إذن فحرمان الكثير من الناس من هداية الأنبياء يقع على عاتق أولئك الذين حالوا دون انتشار رسالتهم.

الشبهة الثانية

إذا كانت بعثة الأنبياء من أجل إكمال الشروط التي يلزم توفرها لتكامل الناس إذن فلماذا وجد كل هذا الفساد والانحطاط في العالم بالرغم من وجودهم؟

والجواب عن هذا السؤال يتضح جليا من خلال التأمل في الخصوصية التي ذكرناها – وهي اختيارية المسيرة التكاملية للإنسان –.

لأن اتجاه الناس نحو الفساد والضلال والكفر والعصيان إنما يستند إلى سوء اختيارهم وإن الحكمة الإلهية لا تقتضي تحرك الناس جميعا

في طريق الصحيح جبريا وإن خالف رغبتهم وإرادتهم. (١)

الشبهة الثالثة

لماذا لم يكشف الله تعالى للناس أسرار الطبيعة من طريق الوحي، ليمكنهم – من خلال الاستفادة والتزود من أنواع النعم الإلهية – من دفع عجلة تكاملهم وتقدمهم إلى الإمام بصورة أسرع.

الجواب إن الحاجة الرئيسية لوجود الوحي والنبوة إنما تتمثل في الأمور والمجالات التي لا يمكن للبشر الوصول إليها بوسائل المعرفة العادية فمثلا إن مهمة الأنبياء الرئيسية هي إعانة الناس على وظائفهم في شتى الظروف ليتعرفوا على القيم الإنسانية الأصلية وعلى وظائفهم و تكاليفهم في مجال عبادة الله وفي حياتهم الشخصية والفردية أو تجاه بني نوعهم وسائر المخلوقات حتى يمكنهم – من خلال ممارستها – الوصول إلى كمالهم وسعادتهم الحقيقية الأبدية.

والحاصل: إن مقتضى الحكمة الإلهية أن يتمكن الناس – بالاستفادة من النعم المادية – من إدامة حياتهم الدنيوية والاستمرار بها وأن يمكنهم من خلال الاستفادة من العقل والوحي تحديد اتجاه تحركهم نحو الكمال الحقيقي والسعادة الأبدية.

والملاحظ أن الأنبياء إضافة لقيامهم بمهمتهم الرئيسية (الهداية)

---

١ – الآيات: (٣٥، ١٠٧، ١١٢ و ١٣٧) من الأنعام، و (٩٩) من يونس و (١١٨) من هود و (٩ و ٩٣) من النحل و (٨) من الشورى و (٤) من الشعراء، و (٢٥٣) من البقرة.

قد قدموا للبشرية خدمات ومساعدات مثمرة وكبيرة كما تلاحظ نماذج من هذه المساعدات في حياة داود وسليمان وذي القرنين عليهم السلام.

الشبهة الرابعة:

لماذا لم يعتمد الأنبياء على القوى الصناعية والاقتصادية والعسكرية في سبيل الوصول إلى أهدافهم؟.

الجواب: إن هدف الأنبياء عليهم السلام هو توفير الظروف والأجواء المناسبة للاختيار الشعوري الواعي والحر، وإذا ما أرادوا الاعتماد على القوى غير العادية في ذلك يتبعونهم الناس تحت ضغط قدراتهم وقواهم لا بدافع إلهي وعلى أساس الاختيار الحر.

الأسئلة
١ – هل بعث جميع الأنبياء فئ منطقة جغرافية معينة؟ وما هو الدليل على ذلك؟ ٢ – لماذا تنتشر دعوة الأنبياء في كل أنحاء العالم؟
٣ – لماذا لم يوفر الله تعال ظروفا وأسبابا تمنع من المفاسد والحروب المدمرة؟
٤ – لماذا لم يكشف أنبياء الله للناس أسرار الطبيعة ليتمكن اتباعهم من الاستفادة من النعم المادية بصورة أكثر؟
٥ – لماذا لم يستفد الأنبياء من القوى الصناعية والاقتصادية في سبيل تحقيق أهدافهم؟

الدرس ٢٤
عصمة الأنبياء
ضرورة صيانة الوحي
ثبت ضرورة الوحي لتسد بها نقائص الحس والعقل الإنساني أما هذا الطريق إنما يكون مؤثرا في سد نقائص المعرفة البشرية فيما لو كان مصونا – من مرحلة الصدور إلى مرحلة الوصول للناس – من أي تحريف أو تلاعب أو تشويه عمدا أو سهوا.
إذن تبرز هذه المسألة وهي من أي طريق يمكن الاطمئنان بوصول الوحي الإلهي للناس بصورة صحيحة وسليمة؟
ويعتبر آخر ان الحاجة الرئيسية للوحي تتمثل في المسائل التي لا طريق للعقل في الوصول لإثباتها أو نفيها والتي لا يمكنه من خلال تقويمه لمحتوى الرسالة – تحديد مدى صحتها وسقمها إذن فمن أي طريق يمكن أن نثبت في مثل هذه المجالات – صحة محتوى الوحي و صيانته من التشويه والتلاعب والتحريف العمدي أو السهوي للوسائط؟
الجواب: مقتضى الصفات الكمالية الإلهية (العلم والقدرة والحكمة) هو أن يواصل الله تعالى رسالته إلى العباد مصونة من التشويه و التلاعب العمدي والسهوي ذلك لأن الله تعالى لو " لم يرد " وصول

الرسالات بصورة صحيحة إلى عباده لكان هذا مخالفا للحكمة والإرادة الإلهية الحكيمة تنفي ذلك وإذا كان الله " لا يعلم " عن أي طريق أو أي شخص يبلغ رسالته لتصل سليمة إلى عباده فهذا ينافي علم الله اللامتناهي وإذا " لم يقدر " على اختيار وسائط صالحة لحفظها وصونها من شرور الشياطين فإن هذه الحالة لا تتلاءم وقدرته اللامحدودة وهكذا يثبت بالبرهان العقلي مصونية الوحي من التشويه.

ومن هنا يتضح لنا تأكيد القرآن على صيانة الوحي والحفاظ عليه حتى وصوله للناس. (١)

سائر مجالات العصمة

إن العصمة التي أثبتناها بالبرهان السابق مختصة بمجال تلقي الوحي وإبلاغه وتقسم مجالات أخرى للعصمة إلى ثلاثة أقسام:

١ - عصمة الملائكة.

٢ - عصمة الأنبياء.

٣ - بعض الأفراد أمثال الأئمة المعصومين عليهم السلام ومريم وفاطمة الزهراء - سلام الله عليهما -.

ففي مجال عصمة الملائكة يمكن البحث في مسألتين غير تلقي الوحي وإبلاغه:

---

١ - الشعراء / ١٩٣ والتكوير / ٢١ والأعراف / ٦٨، والشعراء / ١٠٧ و ١٢٥ و ١٤٣ و ١٦٢ و ١٧٨ والدخان / ١٨ والتكوير / ٢٠ والنجم / ٥ والحاقة / ٤٤ - ٤٧، والجن / ٢٦ - ٢٨.

١ - عصمة ملائكة الوحي فيما لا يتعلق بتلقي الوحي وإيصاله.
٢ - عصمة سائر الملائكة أمثال الموكلين بالرزق وكتابة الأعمال أو قبض الأرواح وغيرها.
وكذلك حول عصمة الأنبياء فيما لا يتعلق برسالتهم يمكن البحث في مسألتين:
١ - عصمة الأنبياء من الذنب والمعصية تعمدا.
٢ - عصمتهم من السهو والنسيان.
أما المسائل المتعلقة بعصمة الملائكة في غير مجال تلقي الوحي و ابلاغه فبما انه لا تعرف ماهيتهم فلا يمكن إقامة البرهان عليها، ومن هنا نكتفي بذكر آيتين تدلان على عصمة الملائكة:
١ - * (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) *. (١)
٢ - * (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) *. (٢)
(وأما البحث في عصمة بعض الأفراد " غير الأنبياء " فإنه سوف يبحث عنها في مبحث الإمامة).
عصمة الأنبياء
إن الشيعة الإمامية يعتقدون بأن الأنبياء معصومون من جميع

---

١ - الأنبياء / ٢٧.
٢ - التحريم / ٦.

المعاصي صغيرها وكبيرها من حين الولادة حتى الوفاة فلا تصدر منهم المعصية حتى سهوا ونسيانا ولكن هناك فرقا أخرى تذهب إلى عصمة الأنبياء من الكبائر فحسب وبعضهم من حيث البلوغ وبعضهم من حين النبوة ونقل عن الحشوية وبعض أهل الحديث أنهم ينكرون عصمة الأنبياء تماما.

نكات هامة:

١ – نعني بعصمة الأنبياء أو غيرهم توفرهم على ملكة نفسانية قوية تمنعهم من ارتكاب المعصية حتى في أشد الظروف وهي ملكة تحصل من وعيه التام والدائم بقبح المعصية وإرادته قوية على ضبط الميول النفسية.

٢ – إنه يلزم من عصمة الشخص ترك الأعمال المحرمة عليه، كالمعاصي المحرمة في كل الشرائع والأعمال التي يحرم ارتكابها في الشريعة التي ينتمي إليها.

٣ – ان لفظة المعصية وما يرادفها أمثال الذنب فإنها تستعمل فيما هو أوسع من ذلك بما يشمل " ترك الأولى " وممارسة مثل هذه الذنوب لا تنافي العصمة.

الأسئلة

١ – كيف يمكن إثبات صيانة الوحي من أي خلل أو تشويه؟

٢ – ما هي مجالات العصمة الأخرى غير محال صون النبي في تلقي الوحي وإبلاغه؟

٣ – من أي طريق يمكن إثبات عصمة الملائكة؟

٤ – ما هي الآراء حول عصمة الأنبياء عليهم السلام؟ وما هو رأي الشيعة الإمامية في هذا المجال؟

٥ – عرف العصمة واذكر لوازمها.

* * *

الدرس ٢٥
الأدلة على عصمة الأنبياء
الاعتقاد بعصمة الأنبياء من الذنوب والمعاصي العمدية والسهوية من المعتقدات القطعية والمعروفة عند الشيعة ولكن هناك خلافا حول نفي السهو والنسيان عن الأنبياء في الأمور المباحة والعادية.
إن الأدلة التي ذكرت لعصمة الأنبياء عليهم السلام تقسم إلى مجموعتين:
١ – الأدلة العقلية.
٢ – الأدلة النقلية.
الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء
الدليل الأول: إن الهدف الأصلي من بعثة الأنبياء هو هداية البشر للحقائق والوظائف التي عينها الله للبشر فإذا كان هؤلاء السفراء أنفسهم غير ملتزمين بالتعاليم الإلهية فإن الناس سيرون في عملهم هذا بيانا مخالفا لأقوالهم وبذلك سوف لا يثقون بأقوالهم أيضا ونتيجة لذلك سوف لا يتحقق الهدف من بعثتهم بصورة كاملة إذن فالحكمة واللطف الإلهيان يقتضيان أن يكون الأنبياء معصومين ومنزهين عن المعاصي.
الدليل الثاني إن الأنبياء على عاتقهم – إضافة إلى تكفلهم مهمة

التعليم والهداية – مهمة التربية والقيادة والتوجيه تلك التربية الشاملة التي تشمل حتى أكثر الناس استعدادا وأسماهم درجة ولا يستحق مثل هذا المقام الاصلاحي الرفيع إلا أولئك الذين بلغوا أسمى درجات الكمال الإنساني ويمتلكون أكثر الملكات النفسية كمالا وهي ملكة العصمة.

أضف إلى ذلك أن دور سلوك المربي وأفعاله ربما أكثر تأثيرا من أقوال في تربية الآخرين وإصلاحهم.

الأدلة النقلية على عصمة الأنبياء

يقول القرآن الكريم في الآيتين ٨٢ و ٨٣ من سورة ص:

* (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين) *

ولا شك في أن السبب في يأس الشيطان من إغوائهم إنما هو ما يملكونه من تنزيه وصيانة من الضلال والآثام إذن فعنوان " المخلص " مساو ل " المعصوم ".

٢ – لقد فرض القرآن الكريم على البشر إطاعة الأنبياء بصورة مطلقة حيث يقول: * (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) *. (١) وإنما تصح اطاعتهم المطلقة فيما لو كانوا معصومين وإلا فإن الأمر بالإطاعة المطلقة لله تعالى والأمر بالطاعة المطلقة لمن هم معرضون للخطأ والانحراف سيكونان على طرفي نقيض.

٣ – لقد خصص القرآن الكريم المناصب الإلهية لأولئك الذين لم يتلوثوا ب " الظلم " يقول تعالى في جوابه لإبراهيم عليه السلام الذي طلب

منصب الإمامة لأبنائه:
* (لا ينال عهدي الظالمين) *. (١)
السر في عصمة الأنبياء
إن الأنبياء في مجال تلقي الوحي مصونون عن الخفاء والسر في ذلك هو إن إدراك الوحي من قبيل المدركات التي لا تحتمل الخطأ، و الشخص المؤهل لتلقيه يتوفر على حقيقة علمية يدركها حضوريا و يشاهد ارتباطها بالموحي. (٢) مقدمة في سر عصمة الأنبياء في مجال القيام بالوظائف الإلهية:
إن الميل الذي يحصل في أعمال الإنسان لأمر ينشده يثار هذا الميل نتيجة لعوامل ومثيرات مختلفة ويحدد الإنسان طريق الوصول لهدفه المنشود بمعونة العلوم والمدركات المختلفة ثم يقدم على العمل المتناسب معه وفي صورة التعارض بين الميول والرغبات فإنه يسعى قدر جهده لتحديد أفضلها وأكثرها قيمة وأهمية ويختاره عمليا. و لكنه أحيانا – ونتيجة لنقص في عمله وقصور في معرفته – يكون مخطئا في تقويم الأفضل وتحديده أو أنه لغفلته عن الأصلح أو نتيجة لتعوده على الأمر الأسوأ يسئ الاختيار.
إذن فكلما كان الإنسان أكثر معرفة بالحقائق وأقوى إرادة على ضبط الميول والانفعالات الداخلية فإنه سيكون أفضل في حسن

---

١ – البقرة / ١٢٤.
٢ – * (ما كذب الفؤاد ما رأى) * النجم / ١١.

اختياره وسيكون أكثر مناعة من الانحراف والعثرات.
إذن فإذا كان استعداد فرد لادراك الحقائق في غاية الشدة وارتفع صفاء روحه وقلبه إلى أسمى المستويات والدرجات وبسبب هذا الاستعداد القوي والصفاء الذاتي تتولاه التربية الإلهية ويؤيد بروح القدس فإن هذا الفرد سوف يطوى مدارج الكمال بسرعة لا توصف و تظهر لمثل هذا الفرد قبح المعاصي والذنوب تماما كظهور ضرر السم و وضوحه وقبح الأشياء العفنة والقذرة للآخرين.

الأسئلة

١ – أذكر الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء.
٢ – ما هي الآيات القرآنية التي تدل على عصمة الأنبياء؟
٣ – ما هو السر في صيانة الأنبياء عن الخطأ في تلقي الوحي؟
٤ – كيف تتلاءم عصمة الأنبياء عن المعاصي مع اختياريتهم؟

الدرس ٢٦
شبهات وحلول
معالجة بعض الشبهات
١ – إذا كان الله تعالى قد عصم الأنبياء ونزههم عن ارتكاب المعاصي فلا يستحقون أي ثواب لممارستهم الوظائف والتكاليف، و الاجتناب عن المعاصي لأن الله تعالى لو جعل أي شخص آخر معصوما لكان مثلهم تماما.
الجواب: ان العصمة لا تعني الجبر على القيام بالوظائف و التكاليف وترك المعاصي وحين نقول إن الله عاصم المعصومين و حافظهم فلا نعني بذلك نفي استناد الأفعال الاختيارية إليهم لأن الإرادة الإلهية في طول إرادة الإنسان لا في عرضها وليست بديلة عنها وقائمة مقامها.
ولكن هذه العناية الإلهية الخاصة بالنسبة للمعصومين هي مما يؤدي إلى أن تكون مسؤوليتهم أكبر وأثقل ويلاحظ مثل هذا التوازن في حال كل الذين يتمتعون بنعمة خاصة كما هو الحال بالنسبة للعلماء والمنتسبين لأهل البيت عليهم السلام فان مسؤوليتهم أثقل وأكثر خطورة من غيرهم وكما أن الثواب على أعمالهم الخيرة أكثر فكذلك العقاب على

ذنوبهم – على تقدير ارتكابها – أشد.
٢ – ان المعصومين عليهم السلام يعتبرون أنفسهم من المذنبين ومع صدور مثل هذا الاعتراف والاقرار منهم فكيف نعدهم معصومين؟
والجواب: إن المعصومين عليهم السلام قد ارتفعوا إلى أسمى درجات الكمال والقرب الإلهي لذلك يشعرون بأنهم مكلفون بوظائف ومهام تفوق وظائف الآخرين وإنما نعني بعصمة الأنبياء تنزيههم عن مخالفة التكاليف الإلزامية وعن ارتكاب المحرمات الفقهية لا كل ما يطلق عليه معصية.
٣ – ذكرت بعض الآيات القرآنية الدالة على عصمة الأنبياء أنهم يعتبرون من " المخلصين " ولا يطمع الشيطان فيهم مع أنه ورد في الآية (٢٧) من سورة الأعراف:
* (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) * وفي الآية (٤١) من سورة (ص) على لسان أيوب:
* (إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب) *
والجواب: لم يلحظ في هذه الآيات أي تصرف أو تأثير شيطاني أدى إلى مخالفة الأنبياء عليهم السلام للتكاليف الإلزامية، أما الآية (٢٧) من سورة الأعراف فتشير إلى وسوسة الشيطان لآدم وحواء للأكل من " الشجرة المنهية " فإنه لم يتعلق نهي تحريمي بالأكل وأن وسوسة الشيطان سببت مخالفتهما للنهي الإرشادي، وأما الآية (٤١) من سورة (ص) فإنها تشير إلى المتاعب والتحديات التي توجهت لأيوب عليه السلام من قبل الشيطان، و ليس فيها أية دلالة على مخالفته للأوامر والنواهي الإلهية.
٤ – نسب الكذب في القرآن الكريم لبعض الأنبياء ومن الآيات

التي تدل على ذلك، الآية (٨٩) من سورة الصافات نقلا عن إبراهيم عليه السلام ، * (فقال إني سقيم) * مع أنه لم يكن مريضا والآية (٦٣) من سورة الأنبياء نقال عنه أيضا: * (قال بل فعله كبيرهم هذا) * مع أنه هو الذي حطم أصنامهم.

والجواب: إن هذه الأقوال إنما صدرت من باب التورية (إرادة معنى آخر) لأجل بعض المصالح الأكثر أهمية فلا يعتبر مثل هذا الكذب معصية، ولا يخالف العصمة.

٥ - ورد في قصة موسى عليه السلام أن قبطيا تشاجر مع رجل من بني إسرائيل فقتله موسى عليه السلام ولأجل ذلك هرب من مصر وحين بعثه الله تعالى لدعوة الفراعنة قال: * (ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) * (١) وحينما ذكره فرعون بالقتل أجاب موسى: * (فعلتها إذن وأنا من الضالين) *. (٢)

فمثل هذه الحكاية كيف تتلاءم عصمة الأنبياء قبل بعثتهم؟

والجواب أولا: إن قتل القبطي لم يكن عمديا بل كان نتيجة ضربة أصابته اتفاقا.

ثانيا: إن الآية * (ولهم علي ذنب) * التي وردت على لسان موسى كانت وفق نظر الفراعنة والمراد أنهم يعتبرونني قاتلا ومذنبا.

ثالثا: أما جملة * (وأنا من الضالين) * إما أنه قالها مجاراة للفراعنة و تمشيا معهم أو المراد من " الضلال " عدم المعرفة بعواقب العمل.

٦ - في الآية (٩٤) من سورة يونس قال تعالى مخاطبا النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

---

١ - الشعراء / ١٤.

٢ - الشعراء / ٢٠.

* (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) * فكيف يمكن القول بان إدراك الوحي لا يقبل الشك والترديد؟

والجواب إن هذه الآيات لا تدل على وقوع الشك والترديد فعلا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بل إنها في صدد التأكيد على هذه الملاحظة بأنه لا مجال للشك و

الترديد في رسالته وفي ان القرآن الكريم ومحتوياته على حق، وفي الواقع ان مثل هذا الخطاب من باب (إياك أعني واسمعي يا جارة).

٧ - نسبت في القرآن الكريم بعض الذنوب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد غفرها الله له.

* (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) *. (٢)

والجواب إن المراد من الذنب في هذه الآية الشريفة الذنب الذي وجهه المشركون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة وبعدها وهو إهانته لأصنامهم و

وآلهتهم.

٨ - يقول القرآن الكريم حول زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بزوجة زيد بن حارثة

" متبنى النبي " المطلقة:

* (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) *. (٢)

فكيف يتلاءم مثل هذا القول مع العصمة.

الجواب إن مثل هذا العمل الذي صدر بأمر الله ومن أجل القضاء على تقليد من التقاليد الجاهلية المنحرفة (حيث كان يعتبر المتبني

---

١ - الفتح / ٢.

٢ - الأحزاب ٣٧.

كالابن من النسب) كأن يخشى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يحمله الناس - لضعف إيمانهم
على ميول ورغباته الشخصية وأن يؤدي ذلك إلى ارتدادهم عن الدين.
٩ - إن القرآن الكريم حين أذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض الأفراد بترك القتال
يقول:
* (عفا الله عنك لم أذنت لهم) * (١)
ويقول في تحريم بعض الأمور المحللة: * (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) *. (٢)
فكيف ينسجم هذا العتاب مع عصمته؟
والجواب إن مثال هذا الخطاب في واقعه " مدح بأسلوب العتاب) *
حيث يدل على مدى ما كان يملكه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شفقة وحنان.

---

١ - التوبة / ٤٣.
٢ - التحريم / ١.

الأسئلة

١ – ما هي الميزة الاختيارية للمعصوم على الآخرين؟ وأي ثواب يستحقه العمل المستند للعصمة الإلهية؟

٢ – لماذا كان الأنبياء وأولي الله يعتبرون أنفسهم مذنبين، ويمارسون التضرع والاستغفار؟

٣ – كيف تتلاءم تأثيرات الشيطان في الأنبياء عليهم السلام مع عصمتهم؟

٤ – إذا كان الأنبياء جميعهم معصومين فلماذا – إذن – صدر الكذب من إبراهيم ويوسف عليهما السلام؟

٥ – ما هي الشبهة التي طرحت حول عصمة موسى عليه السلام؟ اذكرها مع الجواب عنها.

٦ – إذا كان إدراك الوحي لا يحتمل الخطأ والاشتباه، فلماذا – اذن – نهى الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الشك والترديد في رسالته؟

٧ – كيف تتلاءم نسبة الذنب لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم في سورة الفتح مع عصمته؟

٨ – أذكر الشبهة المتعلقة بحكاية زيد والجواب عنها.

٩ – ما هي الشبهة المتعلقة بعتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ اذكرها واذكر الجواب عنها.

المعجزة

طرق اثبات النبوة

إنه يمكن اثبات صدق الأنبياء الحقيقيين في دعواهم، من خلال ثلاث طرق:

١ – من طريق القرائن والمؤشرات المؤدية إلى الاطمئنان أمثال الصدق والأمانة والاستقامة وعدم الانحراف عن مسير الحق والعدالة طوال حياتهم

٢ – أن يعرفه ويبشر به نبي سابق أو معاصر

٣ – عن طريق اظهار المعجزة التي يمكن أن يكون أثرها أكثر اتساعا وشمولية.

لاشك في أن الشخص الضال والمرتكب للمعاصي التي يدرك العقل أيضا قبحها لا يمكن الاعتماد عليه، والثقة به وتصديقه، ويمكن بذلك إثبات كذبه في ادعائه النبوة، فيما لو اشترطنا العصمة في الأنبياء وخاصة إذا كان يدعو إلى مخالفة للعقل والفطرة الإنسانية.

تعريف المعجزة
المعجزة عبارة عن الأمر الخارق للعادة، تظهر من مدعى النبوة لإرادة الله، وتكون دليلا على صدق دعواه.
والملاحظ في هذا التعريف أنه يشتمل على عناصر ثلاثة:
أ – وجود بعض الظواهر الخارقة للعادة، والتي لا يمكن أن توجد من خلال الأسباب والعلل العادية.
ب – ظهور بعض هذه الأمور الخارقة للعادة، من الأنبياء وبإذن خاص من الله تعالى.
ج – إن مثل هذا الأمر الخارق للعادة، يمكن أن يكون دليلا على صدق دعوى النبي ويمكن أن يصطلح عليه ب " المعجزة ".
الأمور الخارقة للعادة
إن الظواهر الكونية إنما توجد – غالبا – نتيجة أسباب وعلل يمكن التعرف عليها من خلال التجارب المختلفة أما الأعمال الغريبة والمدهشة التي يقوم بها المرتاضون، ويشهد الخبراء والمتخصصون في مختلف العلوم بأن مثل هذه الأعمال لا تتم وفق قوانين العلوم المادية والتجريبية يطلق عليها ب " الأمور الخارقة للعادة ".
خوارق العادة الإلهية
يمكن تقسيم الأمور الخارقة للعادة بصورة عامة إلى قسمين:

١ - الأمور التي أسبابها غير العادية في مقدور البشر أمثال أعمال المرتاضين.
٢ - الأعمال الخارقة للعادة والتي لا تتم إلا بإذن إلهي خاص.
إن لخوارق العادة الإلهية ميزتان رئيسيان:
الف: أنها غير قابلة للتعليم والتعلم.
ب: أنها لا تخضع لتأثير قوة أخرى أرقي وأقوى منها.
ومثل هذه الخوارق للعادة لا تختص بالأنبياء، بل ربما زود بها بعض أولياء الله، ولذلك لا يصطلح عليها كلها في علم الكلام ب " المعجزة "، و المعروف أن يطلق على مثل هذه الأعمال في حالة صدورها من غير الأنبياء " الكرامة ".
نكتة: إنه يمكن لنا أن نعتبر الله هو الفاعل لهذه الأعمال الإلهية الخارقة للعادة وذلك بملاحظة إناطة تحققها بإذن خاص منه تعالى (١) و يمكن أيضا أن ننسبها إلى الوسائط - أمثال الملائكة والأنبياء - بملاحظة يدورهم فيها كوسطاء أو فاعلين قريبين لأن الفاعلية الإلهية في طول فاعلية العباد.
ميزة معجزات الأنبياء
إن معجزات الأنبياء آية ودليل على صدق دعواهم، ومن هنا إنما يطلق في علم الكلام مصطلح المعجزة على الأمر الخارق للعادة، حين يصدر دليلا على نبوة النبي، إضافة إلى استناده إلى الإذن الإلهي الخاص.

---

١ - الرعد / ٢٧ غافر / ٧٨.

نكتة: تثبت نبوة الأنبياء عليهم السلام بالدليل العقلي، أما محتويات رسالاتهم فتثبت بالدليل التعبدي.

الأسئلة

١ – ما هي الطرق التي يمكن التعرف من خلالها على الأنبياء الحقيقيين؟ وما هو الفرق بين هذه الطرق؟

٢ – ما هي الأدلة على كذب المدعين الكاذبين؟

٣ – عرف المعجزة.

٤ – ما هي الأمور الخارقة للعادة؟

٥ – ما هو الفرق بين الخارق الإلهي للعادة، والخارق غير الإلهي؟

٦ – ما هي الطرق للتعرف على الخارق الإلهي للعادة؟

٧ – ما هي الميزة التي تتميز بها معجزات الأنبياء عن سائر الخوارق الإلهية للعادة؟

٨ – وضح مصطلحي المعجزة والكرامة.

٩ – هل إن المعجزة عمل مستند إلى الله أم إلى النبي؟

١٠ – هل إن المعجزة دليل على صدق النبي، أم على صحة محتوى الرسالة؟

شبهات وحلول

معالجة بعض الشبهات حول الاعجاز

١ – إن لكل ظاهرة مادية علة خاصة وعدم التعرف على علة ظاهرة نتيجة لنقص أدوات التجربة ووسائلها، لا يمكن أن يعتبر دليلا على عدم وجود العلة العادية لتلك الظاهرة وإلا فإن انكار وجود العلل التي يمكن اكتشافها ومعرفتها من خلال التجارب العلمية، يعنى نفيا لمبدأ العلية و هو باطل.

والجواب: إن مبدأ العلية عبارة من أن تكون لكل موجود مرتبط ومعلول علة ما، أما ميدان التجارب العلمية ومجالها محدد بالأمور الطبيعية ولا يمكن أن يثبت من خلال أدوات المختبرات وأجهزتها وجود أمور ما وراء الطبيعة أو نفيها، أو عدم تأثيرها.

٢ – جرت السنة الإلهية على أن توجد كل ظاهرة من طريق علة خاصة والآيات القرآنية تصرح بأنه (لن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تبديلا). (١)

والجواب: إن هذا الرأي الذي يعتبر حصر أباب الظواهر وعللها في

---

١ – الاسراء / ٧٧، والأحزاب / ٦٢، وفاطر / ٤٣، والفتح / ٢٣.

الأسباب والعلل العادية من السنن الإلهية التي لا تقبل التغيير... مثل هذا الرأي لا دليل عليه، ونظيره أن يدعى بأن حصر علة الحرارة بالنار من السنن الإلهية التي لا تقبل التغيير!

إن هذه المجموعة من الآيات الشريفة تستهدف نفى تخلف المعلول عن العلة، لا أنها تنفى تعدد العلة وقيام العلة غير العادية مقام العلة العادية، بل يمكن القول بأن القدر المتيقن من مورد هذه الآيات، هو تأثير الأسباب والعلل غير العادية.

٣ – جاء في القرآن الكريم أن الناس طالبوا نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم مرارا ببعض المعجزات، وامتنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الاستجابة لطلبهم (١) فإذا كان الاتيان بالمعجزات طريقا لإثبات النبوة، إذن فلماذا لم يستفد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الطريق لإثبات نبوته؟

والجواب: إن هذه الآيات مرتبطة بالطلب الذي صدر منهم عنادا بعد اتمام الحجة عليهم، وإثبات نبوته صلى الله عليه وذله وسلم بالطرق الثلاثة (دلائل الصدق، وبشارات الأنبياء السابقين، وإظهار المعجزة) والحكمة الإلهية اقتضت عدم الاستجابة لهم.

٤ – إن المعجزة من جهة إناطتها بالإذن الإلهي الخاص يمكن أن تكون دليلا وآية على وجود الارتباط الخاص بين الله وحامل المعجزة، و لكن لا يلزم عقلا من هذا الارتباط أن يكون حامل المعجزة، قد تلقى الوحي منه، إذن فالمعجزة تعتبر دليلا ظنيا واقناعيا على صحة دعوى النبوة.

---

١ – الأنعام / ٣٧، و ١٠٩، ويونس / ٢٠، والرعد / ٧، والأنبياء / ٥.

والجواب: إن الحديث هنا هو حول ذلك الشخص الذي ادعى النبوة، وأظهر المعجزة دليلا وآية على صدق دعواه، وإذا افترضنا أن هذا الشخص ادعى النبوة كذبا لا يصلح – أبدا – لمثل هذا الارتباط بالله تعالى، ولا تقتضي الحكمة الإلهية تزويده بالقدرة على إظهار المعجزة، ليكون سببا في ضلال العباد وانحرافهم.

إذن فاظهار المعجزة دليل عقلي قاطع على صحة دعوى النبوة.

الأسئلة

١ – ما هو مضمون مبدأ العلية؟ وماذا يلزم منه؟

٢ – لماذا كان الاعتراف بمبدأ العلية لا ينافي الاعتراف بالاعجاز؟

٣ – لماذا لا يصح تفسير الاعجاز بمعرفة العلل المجهولة؟

٤ – هل إن الاعتراف بالاعجاز ينافي عدم قبول السنن الإلهية للتغير ؟ ولماذا؟

٥ – هل إن الأنبياء كانوا يأتون بالمعجزة ابتداء؟ أم أنهم إنما كانوا يأتون بها استجابة لمطالبة الناس؟

٦ – لماذا لم يستجب الأنبياء لكل ما يطلبه الناس من معاجز؟

٧ – وضح هذه الفكرة: إن المعجزة ليست دليلا ظنيا إقناعيا فحسب، بل إنها برهان عقلي على صدق دعوى النبوة.

خصائص الأنبياء

تعدد الأنبياء

إن البراهين التي أقمنا حتى الآن لضرورة البعثة ولزوم عصمة الأنبياء وأيضا لضرورة المعجزة وإتمام الحجة وإبلاغ الرسالة لم تدل على لزوم تعدد الأنبياء والكتب والشرائع السماوية ونريد الآن إقامة البرهان على لزوم تعدد الأنبياء والكتب والشرائع السماوية.

إنا نعلم أولا: إن عمر الإنسان محدود وقصير، ولا تقتضي حكمة الخلق بقاء النبي... الأول حيا حتى نهاية العالم، ليهدي جميع البشر بشخصه.

وثانيا: الملاحظ عدم اتحاد وتشابه ظروف الحياة البشرية في مختلف الأزمنة والأمكنة، وهذا الاختلاف والتغير في الظروف، ربما تطلب - أحيانا - تشريع قوانين جديدة

ثالثا: لم تكن وسائل الاعلام وإمكانات النشر متوفرة لدعوة الأنبياء بالصورة التي يمكن للنبي إيصال رسالته لجميع البشر في العالم.

رابعا: إن تعاليم النبي قد تتعرض نتيجة لشتى العوامل - إلى

التحريف (١) وإلى تفسيرات منحرفة خاطئة لها كما هو الملاحظ في دين عيسى عليه السلام التوحيدي حيث تحول لدين التثليث.
ومن خلال هذه الملاحظات تتضح الحكمة في تعدد الأنبياء عليهم السلام واختلاف الشرائع السماوية حول بعض الأحكام العبادية والقوانين الاجتماعية. (٢)

وظيفة الناس في مجال دعوة الأنبياء

وعلى ك لحال، يجب على كل إنسان الإيمان بجميع الأنبياء، وعدم التفريق بينهم، في مجال الاعتقاد والتصديق بالنبوة، وكذلك التصديق بكل الرسالات والتعاليم النازلة عليهم (٣) وعدم التفريق بينها، فإن الوظيفة العملية لكل أمة، في أي زمان اتباع التعاليم العملية، لنبي تلك الأمة وذلك الزمان.

نكتة:

إن العقل الإنساني لا يمكنه التوصل إلى قانون يكشف به عدد الأنبياء والكتب السماوية، والاختلاف بين الشرائع السماوية لكن يمكنه فهمه عدم الضرورة لبعثة نبي آخر، فيما لو كانت الظروف التي يعيشها

---

١ - للتعرف على نماذج من هذه التحريفات يراجع كتاب " الهدى إلى دين المصطفى " للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي.
٢ - المائدة / ٤٨، والحج / ٦٧.
٣ - الشورى / ١٣، والنساء / ١٣٦ و ١٥٢، وآل عمران / ٨٤ - ٨٥.

البشر بالصورة التي تصل معها دعوة الأنبياء لجميع البشر، وتبقى معها الرسالة سليمة ومصونة للمستقبل، وعدم حدوث تغير كبير في الظروف الاجتماعية يفرض تشريعات أساس جديدة، وتغيرا في الأحكام والقوانين الموجودة.

عدد الأنبياء

ورد في بعض الروايات عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام (١)، ان الله بعث مائة وأربعة وعشرين ألفا من الأنبياء، وأن سلسلة الأنبياء تبدأ من آدم أبى البشر عليه السلام وتختم بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

النبوة والرسالة

إن لفظة " الرسول " بمعنى " حامل الرسالة " ولفظة النبي إذا كانت مشتقة من مادة " نبأ " فالنبي بمعنى " صاحب الخبر المهم "، وإذا كانت مشتقة من مادة " نبو " فهو بمعنى " صاحب المقام الرفيع والشريف ".

إن مفهوم النبي لا يكون أعم من مفهوم الرسول وذلك لأنه ذكرت في بعض الآيات الكريمة صفة " النبي " بعد صفة " الرسول " ويذكر مفهوم العام قبل مفهوم الخاص دائما.

إن النبي من حيث المصداق (لا المفهوم) أعم من الرسول، أي

---

١ - يلاحظ كتبا الاعتقادات للصدوق، وبحار الأنوار، ج ١١، ص ٢٨ وص ٣٢ وص ٤١ من الطبعة الجديدة.

أن الأنبياء جميعا كانوا يملكون مقام النبوة. وأما مقام الرسالة فهو مختص بجماعة منهم، وعدد الرسل (ثلاث مائة وثلاثة عشر) وبطبيعة الحال يكون مقامهم أسمى من مقام سائر الأنبياء وقد نال بعضهم مقام " الإمامة " أيضا. (١)

الأنبياء أولو العزم

يستفاد من روايات أهل البيت عليهم السلام أن عدد الأنبياء أولى العزم خمسة، وهم بحسب الترتيب الزمني: نوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد ابن عبد الله – عليهم الصلاة والسلام – (٢).

إن للأنبياء أولى العزم ميزتين:

١ – الصبر والاستقامة

٢ – الكتاب والشريعة المستقلة.

إن من الممكن اجتماع نبيين في زمان واحد، كما عاصر لوط إبراهيم عليهما السلام، وهارون موسى عليهما السلام، ويحيى عيسى عليهما السلام، في زمان واحد.

ملاحظات

أ – إن أنبياء الله يصدق بعضهم بعضا، ويبشر السابق منهم ببعثة النبي اللاحق. (٣).

---

١ – تراجع: سورة البقرة / ١٢٤، والأنبياء / ٧٣، والسجدة / ٢٤.

٢ – بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٣ – ٣٤، ومعالم النبوة / ص ١١٣.

٣ – آل عمران / ٨١.

ب: إن أنبياء الله لم يطلبوا الأجر على ممارسة وظائف النبوة ومهامها من الناس (١)، ونبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم لم يطلب من أمته أجرا لرسالته إلا إيصاءهم بالمودة لأهل بيته. (٢)

ج – كان لبعض أنبياء الله مناصب الهية أخرى أمثال القضاء و الحكم، مثل داود وسليمان عليهما السلام.

د – إن في بعض الجن – وهم نوع من المخلوقات المختارة والمكلفة أتباعا لموسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم (٣)، كما أن بعضهم كفروا بأنبياء الله اتباعا للشيطان. (٤)

---

١ – الأنعام / ٩٠، ويس / ٢١، والطور / ٤٠، والقلم / ٤٦، ويونس / ٧٧٢، وص / ٨٦ وهود / ٢٩ و ٥١، والفرقان / ٥٧، والشعراء / ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠، ويوسف / ١٠٤.

٢ – الشورى / ٢٣.

٣ – الأحقاف / ٢٩ – ٣٢.

٤ – الجن / ١ – ١٤.

الأسئلة

١ – بين الحكم والأسباب من تعدد الأنبياء.

٢ – ما هي وظيفة الناس تجاه دعوة الأنبياء جميعا وتعاليمهم؟

٣ – ما هي الحالة التي لا يلزم معها إرسال النبي الجديد؟

٤ – بين عدد الأنبياء والرسل.

٥ – ما هو الفرق بين النبي والرسول؟ وما هي النسبة بينهما من حيث المفهوم، ومن حيث المصداق؟

٦ – بأي المناصب الإلهية يفضل بعض الأنبياء على بعضهم الآخر؟

٧ – من هم الأنبياء أولوا العزم؟ وما هي خصائصهم؟

٨ – هل يمكن تعدد الأنبياء في زمان واحد؟ وإذا كان ذلك ممكنا فاذكر بعض النماذج والأمثلة.

٩ – ما هي الصفات الأخرى للأنبياء الإلهيين؟

١٠ – ما هو موقف الجن من الأنبياء من حيث الكفر والإيمان؟

الناس والأنبياء

إن القرآن الكريم يهتم اهتماما كبيرا بمواقف الأمم تجاه الأنبياء عليهم السلام. فمن ناحية، يتعرض لبيان العوامل التي دفعتهم لمعارضتهم، ومن ناحية أخرى، يشير إلى طرق الهداية والتربية استخدمها الأنبياء، و أساليب مكافحتهم ومواجهتهم لعوامل الكفر والشرك والانحراف.

ومن أجل تأثيرات هذه البحوث الفاعلة والمثمرة في اصلاح الناس وتربيتهم، ولأجل أنها تملك أهمية بالغة، نشير إلى أهمها.

موقف الناس تجاه الأنبياء

حين ينهض الأنبياء الإلهيون لدعوة الناس لعبادة الله وحده (١) و رفض الشياطين ترك الأعمال المنكرة فإنهم سيواجهون بمعارضة الناس لهم ومخالفتهم (٢) وخاصة من أمثال حكام المجتمع. إن هؤلاء سيبذلون كل جهودهم وقواهم لمحاربة الأنبياء والوقوف بوجههم ولكن

---

١ - النحل / ٣٦، والأنبياء / ٢٥، وفصلت / ١٤، والأحقاف / ٢١.

٢ - إبراهيم / ٩، والمؤمنون / ٤٤.

ستؤمن بالأنبياء الإلهيين جماعة قليلة أكثرها من محرومي المجتمع. (١)
عوامل معارضة الأنبياء ودوافعها
١ – الرغبة بالتحلل واتباع الأهواء النفسية (٢)
٢ – الغرور، والأنانية (٣)
٣ – العصبيات والالتزام المتشدد بتقاليد السابقين والآباء والأجداد (٤)
٤ – الحفاظ على المصالح والامتيازات الاقتصادية والمراكز الاجتماعية (٥)
٥ – الجهل وعدم الوعي المنتشر في عامة الناس.
٦ – ضغط الطبقة الحاكمة والمتسلطة. (٦)
الأساليب التي استخدمت لمواجهة الأنبياء
أ – الاستهانة والاستهزاء: القضاء على شخصية الرسل الإلهيين من

---

١ – هود / ٢٧ – ٣١ و ٤٠.
٢ – المائدة / ٧٠.
٣ – غافر / ٥٦، والأعراف / ٧٦.
٤ – البقرة / ١٧٠ والمائدة / ١٠٤، والأعراف / ٢٨، ويونس / ٧٨، والأنبياء / ٥٣، والشعراء / ٧٤، ولقمان / ٢١ والزخرف / ٢٢ – ٢٣.
٥ – هود / ٨٤ – ٨٦، والقصص / ٧٦ – ٧٩، والتوبة / ٣٤.
٦ – إبراهيم / ٢١.

خلال الاستهانة والاستهزاء بهم.
ب – الافتراء والتهم: (تسميتهم بألقاب مثل " سفيه " أو " مجنون ").
ج – المجادلة والمغالظة: (الاستناد بأساليب القدماء والأجداد و تقاليدهم وعاداتهم والتمسك ببعض الذرائع أمثال: لماذا لم يجعل الله أنبياءه وسفراءه من الملائكة؟)
د – الترهيب والترغيب: (تهديدهم أنبياء الله بإخراجهم من مدنهم و بلادهم، ورجمهم بالحجارة، أو بقتلهم والاغراء والترغيب، وخاصة بذل الأموال).
ه – استخدام العنف والقتل.

بعض السنن الإلهية في إدارة الأمم

١ – توفير الأجواء النفسية لتقبل دعوة الأنبياء

وبما أن أكبر عامل للكفر هو الشعور بعدم الحاجة لذلك وفر الله الحكيم أجواء وأسبابا تدفع الناس للالتفاف والتوجه لحاجاتهم و ضروراتهم ربما يبتليهم ببعض المحن والابتلاءات والمصاعب ليدفعهم ذلك للاحساس بضعفهم وليتوجهوا إلى الله.

ولكن هذا العامل لم يؤثر تأثيرا عاما وشاملا فإن هناك الكثير من الناس وخاصة أولئك الذين كانوا يتمتعون أكثر من غيرهم بامتيازات وإمكانات مادية إن هؤلاء لم يستيقظوا من غفلتهم بل ظلوا سادرين غافلين واستمروا على السير في طريق ضلالهم.

٢ – الأمر بالجهاد
حين يبلغ أتباع الأنبياء وأنصارهم إلى درجة يمكنهم من خلال إقامة مجتمع مستقل ويمكنهم الدفاع عن أنفسهم ومحاربة أعداء الله، فإنهم يؤمرون بالجهاد.
٣ – نزول العذاب
نزول العذاب الإلهي من قنوات أخرى على رؤوس الأمة الجاحدة التي لا يؤمل فيها أي خير وعودة لظلال الله.
الأسئلة
١ – ما هو موقف الناس تجاه دعوة الأنبياء عليهم السلام؟
٢ – أذكر عوامل معارضة الأنبياء ودوافعها
٣ – ما هي الأساليب التي استخدمها معارضوا الأنبياء؟
٤ – أذكر السنن الإلهية في مجال بعثة الأنبياء وموقف الناس منهم.

الدرس ٣١
نبي الإسلام
لقد بعث عشرات الآلاف من الأنبياء الإلهيين في نقاط شتى من العالم وقاموا بمهامهم خير قيام في هداية البشر.
وقد تميز من بين هؤلاء نوح وإبراهيم عليهما السلام وموسى وعيسى عليهما السلام بأن أنزل الله عليهم كتبا سماوية فوضعوها في متناول أيدي البشر.
ولكن هذه الكتب إما أنها اختفت تماما على امتداد الزمان أو تعرضت لتحريفات لفظية ومعنوية كما تعرضت توراة موسى عليه السلام إلى تحريفات عديدة وإنجيل عيسى عليه السلام جمعت مما كتبه بعض أتباعه من كتابات.
فالتوراة إضافة إلى أنها صورت الله تعالى بصورة بشرية لأنه يجهل الكثير من الأمور والقضايا وانه يندم ما عمله كثيرا وانه يصارع يعقوب عليه السلام وكذلك تنسب الزنا بالمحصنة – والعياذ بالله – لداود عليه السلام.
واما الإنجيل فهو الكتاب الذي يشتمل على بعض الكتابات المنسوبة إلى بعض أتباع عيسى عليه السلام وهو بالإضافة إلى تجويزه شرب الخمر، فإنه يعتبر صنع الخمر من معاجز عيسى عليه السلام!
في القرن السادس بعد ميلاد المسيح عليه السلام بعث الله خاتم أنبيائه و

أفضلهم ليشعل – وإلى الأبد – مشعل الوحي الساطع لكل الناس، و ليحمل للبشر الكتاب الإلهي الخالد المصون من التحريف والنسخ وليقود البشرية جمعاء باتجاه السعادة الدنيوية الأخروية. (١)

ومنذ ظهور نبي الإسلام اعتبر البحث نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته وأن الدين الإسلامي المقدس على حق أهم موضوع لكل إنسان باحث عن الحقيقة (بعد التوحيد) ومع إثبات أن القرآن الكريم على حق، سيهتدي البشر حتى نهاية العالم إلى الطريق الوحيد لإثبات سائر المعتقدات الصحيحة والتعرف على النظام القيمي (الخلقي) والوظائف العملية.

الدليل على رسالة نبي الإسلام

ذكرنا انه يمكننا أن نثبت نبوة الأنبياء من خلال ثلاث طرق:

١ – التعرف على سيرتهم وسلوكهم

٢ – أخبار الأنبياء السابقين وبشاراتهم.

٣ – المعجزة.

ولقد توفرت الطرق الثلاثة لدى نبي الإسلام فمن جانب عاصر أهل مكة النبي صلى الله عليه وآله وسلم واطلعوا عن كثب على حياته ولقبوه ب " الأمين " و

من جانب آخر وردت بشارات الأنبياء السابقين واخبارهم ببعثته وقد كان ينتظر ظهوره جماعة من أهل الكتاب وكانوا يعرفون بعض العلامات الواضحة والبينة عليه.

في هذا الإنجيل وفي التوراة المحرف نفسها، وبالرغم من

---

١ – الجمعة / ٢ – ٣.

كل الجهود التي بذلت من أجل إخفاء مثل هذه البشارات والأخبار توجد بعض النقاط المضيئة التي تتم الحجة على الباحثين عن الحقيقة (١).

وقد سجلت في كتب التاريخ والحديث الكثير من المعجزات البينة التي صدرت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد بلغ نقل الكثير منها حد التواتر (٢)، و

لكن العناية الإلهية اقتضت وجود معجزة خالدة بنفسها تتم الحجة على البشر – وإلى الأبد – وهي القرآن الكريم.

---

١ – أهتدي الكثير من علماء اليهود والمسيحيين – الذين كانوا طلابا للحق والحقيقة – إلى الدين الإسلامي المقدس بتأثير هذه النقاط المضيئة والبشائر يمكن أن نعتبر من هؤلاء الميرزا محمد رضا (من علماء اليهود الكبار في طهران) مؤلف كتاب (إقامة الشهود في رد اليهود) والحاج بابا القزويني اليزدي (من علماء اليهود في يزد) مؤلف كتاب (محضر الشهود في رد اليهود) والبروفسور عبد الأحد داود الأسقف المسيحي السابق ومؤلف كتاب (محمد في التوراة والإنجيل)

٢ – يلاحظ بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٢٢٥ إلى آخر الجزء ١٨ وسائر كتب الحديث والتاريخ المعتبرة.

الأسئلة
١ – أذكر حالة الكتب التي جاء بها الأنبياء السابقون.
٢ – أذكر بعض شواهد التحريف في التوراة.
٣ – دلل على فقدان الإنجيل الحالي اعتباره وأصالته.
٤ – بين أهمية موضوع (رسالة نبي الإسلام).
٥ – بين الطرق التي تثبت من خلالها رسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

الدرس ٣٢
اعجاز معجزة
إن القرآن الكريم قد حمل معه دعواه بأنه معجزة وأعلن وبكل صراحة وقوة – أن أحدا لا يتمكن من الإتيان بمثله (١) بل لا يتمكن على الآيتان بعشر سور مثله (٢) بل حتى سورة واحدة قصيرة ذات سطر واحد (٣)
وإن من جاء به عرضه للبشر كمعجزة خالدة وبرهان قاطع على نبوته وإلى الأبد.
الدليل الإجمالي على اعجاز القرآن:
واجه نبي الإسلام من أول يوم من دعوته أعداء متشددين، و حاقدين الذين تآمروا على قتله واغتياله ولكن فشلت هذه المؤامرة بتدبير

---
١ – الإسراء / ٨٨.
٢ – هود / ١٣.
٣ – يونس / ٣٨.

من الله الحكيم بهجرته ليلا وسرا إلى المدينة ومنذ وفاته وحتى اليوم حاول – ويحاول – منافقوا الداخل وأعداء الخارج وأعداء الخارج إطفاء هذا النور الإلهي.
وفي هذا العصر حيث ترى كل القوى العظمى في العالم أن الإسلام هو العدو الأكبر الذي يتهدد سلطاتهم الظالمة ولذلك أخذوا – وبكل ما يملكون من قوة – في محاربته – لم يقدروا أن يأتوا بكتابة سطر واحد مشابه لإحدى السور القرآنية القصار.
إذن فإن القرآن الكريم كتاب استثنائي وإنه يملك كل خصائص المعجزة ومن هنا فهو أفضل دليل قاطع على صدق دعوة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
وعلى أن الدين الإسلامي المقدس على حق.
عناصر الاعجاز في القرآن الكريم
الآن نوضح بعض عناصر الاعجاز القرآنية:
أ – فصاحة القرآن وبالغته: أي أنه – تعالى – استخدم لعرض مقاصده أعذب الألفاظ وأجملها وأجود التراكيب سبكا واعتدالا واتقانا ووقعا ومن خلال ذلك يوصل المعاني المقصودة للمخاطبين من خلال أفضل الأساليب وأقربها للفهم لا يتيسر هذا الاختيار إلا لمن كانت له إحاطة تامة بكل خصوصيات الألفاظ ودقائق المعاني.
إن التعرف على أن القرآن معجزة في الفصاحة والبلاغة فلا يتيسر إلا لأولئك الذين يملكون الخبرة والتخصص في فنون الكلام المختلفة
والملاحظ أن الحكمة والعناية الإلهية تقتضي أن تكون معجزة كل نبي متلائمة مع العلم والفن الشائع في ذلك الزمان وان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام فأتاهم من عند الله

من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم. (١)
ب – أمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن القرآن الكريم بالرغم من صغر حجمه نسبيا – كتاب يشتمل على كل الأصول والمبادئ التي يحتاجها البشر من أجل تحقيق سعادتهم الدنيوية والأخروية ولقد امتزج كل ذلك بأسلوب رائع بديع لم يسبق له مثيل بحيث يمكن لفئات المجتمع جميعا الاستفادة والتزود منها كل بحسب استعداده وقابليته.
وما يزيد الدهشة والاعجاب أكثر أن هذا الكتاب العظيم ظهر على يد إنسان لم يعرف الدرس والتعليم خلال حياته أبدا وقد نشأ في محيط بعيد عن الحضارة والثقافة.
والأعجب من ذلك أنه لم يسمع منه خلال أربعين عاما قبل بعثته – مثل هذا الكلام المعجزة وخلال أيام رسالته وبعثته أيضا كان ما يصدر منه من آيات قرآنية ووحي إلهي يتميز بسبكه وأسلوبه الخاص وهو يختلف تماما – عن سائر كلامه وأحاديثه.
* (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون) *. (٢)
إذن فظهر مثل هذا الكتاب بمثل هذه الخصائص والمميزات من شخص أمي لم يتعلم أبدا جهة أخرى من جهات إعجاز القرآن الكريم.
ج – التناسق وعدم الاختلاف: إن كل إنسان يواجه – على الأقل – نوعين من المتغيرات.

---

١ – أصول الكافي / ج ١، ص ٢٤.
٢ – العنكبوت / ٤٨.

١ – إن معلوماته وخبراته تأخذ بالتزايد والنمو وهذا النمو و الزيادة في ثقافته ومعلوماته وخبراته وقدراته تنعكس وتؤثر في أحاديثه و كلامه.

٢ – إن حوادث الحياة المختلفة تؤدي إلى ظهور حالات نفسية و مشاعر وأحاسيس مختلفة أمثال اليأس والأمل والفرح والحزن والقلق والهدوء ولمثل هذا الاختلاف في الحالات تأثير كبير في تفكير المرء وفي أقواله وأفعاله وفي الوقاع إن تغيرات الكلام خاضعة لتغيرات الحالات النفسية وهي بدورها خاضعة لتغير الظروف الطبيعية والاجتماعية.

فإذا افترضنا أن القرآن الكريم من صنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه كإنسان خاضع لكل المتغيرات المذكورة فلا بد وأن تظهر في كلامه اختلافات كبيرة في شكله ومحتواه مع أنه لم يشاهد أي أثر لمثل هذه الاختلافات

إذن لهذا الانسجام وعدم الاختلاف فظ مضامين القرآن يعد علامة أخرى على صدور هذا الكتاب الشريف من مصدر العلم الثابت و اللامتناهي لله تعالى.

الأسئلة

١ – وضح هذه الفكرة: إن القرآن الكريم يحمل معه دعواه بأنه معجزة.

٢ – ما هو الدليل الإجمالي على إعجاز القرآن؟

٣ – هل يمكن أن نحتمل أن هناك من لم يرد الإتيان بمثل القرآن؟ أو هناك من أتى به ولكننا لم نطلع عليه؟ ولماذا؟

٤ – تحدث عن البلاغة المعجزة للقرآن.

٥ – ما هي علاقة أمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإعجاز القرآن؟

٦ – كيف يدل عدم الاختلاف في القرآن على أنه معجزة؟

الدرس ٣٣
صيانة القرآن عن التحريف
مع ملاحظة انه لم يبق عين ولا أثر لكتابي نوح وإبراهيم عليهما السلام ولا توجد الصورة الأصلية لكتابي موسى وعيسى عليهما السلام من أي طريق يعرف أن الكتاب الذي هو بين أيدينا اليوم باسم القرآن الكريم لم يتطرق إليه أي تغيير أو تبديل ولم يتعرض لزيادة أو نقيصة؟
الشواهد التاريخية على صيانة القرآن
١ – اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه المعصومين عليهم السلام بكتابة القرآنية و ضبطها.
٢ – اهتمام المسلمين بحفظ الآيات القرآنية (كما أنه في معركة واحدة قتل من حفاظ القرآن الكريم سبعون رجلا)
٣ – التواتر في نقل القرآن خلال أربعة عشر قرونا.
مع غض النظر عن هذه الدلائل والشواهد التاريخية المؤدية ليقين، يمكن الاستدلال على صيانة القرآن عن التحريف ببيان مركب من دليل عقلي ودليل نقلي.

عدم الزيادة في القرآن (الدليل العقلي)
أجمع المسلمون كلهم على عدم الزيادة في القرآن الكريم بل هو مما اتفق عليه كل المطلعين في العالم إضافة إلى ذلك أنه إذا افترضنا زيادة مطلب تام في القرآن الكريم فان هذا يعني أنه كان يمكن الاتيان بمثله ؤ مثل هذا الافتراض لا يتلاءم وإعجاز القرآن وعدم قدرة البشر على الإتيان بمثله وإذا افترضنا زيادة كلمة أو آية قصيرة عليه فإن ه يلزم من ذلك اضطراب نظام الكلام واختلال سبكه وخروجه عن صورته الأصلية والمعجزة وفي هذه الحالة يمكن تقليده والآتيان بمثله.
إذن فنفس الدليل الذي يثبت إعجاز القرآن الكريم هو الذي يثبت صيانته عن الزيادة.
عدم النقيصة في القرآن (الدليل النقلي)
بعد أن أثبتنا أن كل ما في القرآن المتداول اليوم هو كلام الله ولم يتعرض للزيادة فستكون محتويات آياته حجة من أقوى الأدلة والحجج النقلية والتعبدية ومن المفاهيم التي يمكن استفادتها من الآيات القرآنية الكريمة أن الله تعالى قد تعهد بحفظ هذا الكتاب عن أي تحريف.
وتستفاد هذه الفكرة من الآية (٩) من سورة الحجر:
* (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) *.
وبذلك تثبت صيانة القرآن الكريم عن التحريف في الزيادة والحذف ببيان مركب من دليل عقلي ودليل نقلي.

ويلزم علينا تأكيد هذه الملاحظة وهي: أن صيانة القرآن الشريف عن التحريف لا تعنى اعتبار كل كتاب ونسخة من القرآن الكريم قرآنا كاملا مصونا من كل خطأ في الكتابة والقراءة بل إنما نعني من ذلك أن القرآن الكريم يبقى بين البشر بصورة يمكن فيها لكل باحث عن الحقيقة من الوصول لآياته كلها كما نزلت.

الأسئلة

١ – لماذا يبحث في موضوع (صيانة القرآن الكريم عن التحريف)

٢ – ما هي الشواهد التاريخية على صيانة القرآن الكريم عن التحريف؟

٣ – ما هو الدليل الذي يمكن إثبات صيانة القرآن به؟

٤ – بين الدليل على عدم الزيادة في القرآن.

٥ – ما هو الدليل على عدم النقيصة في القرآن؟

٦ – هل يمكن أن نثبت بهذا الدليل نفسه عدم الزيادة في القرآن؟ و لماذا؟

٧ – وضح هذه الفكرة؟؟: إن النقيصة والخطأ في بعض نسخ القرآن و اختلاف القراءات أو اختلاف ترتيب كتابة الآيات والسور مع ترتيب النزول أو وجود التفاسير المنحرفة والتحريفات المعنوية كل هذه لا تنافي صيانة القرآن عن التحريف.

الدرس ٣٤
عالمية الإسلام وخلوده
قلنا إن الوظيفة العلمية لكل أمة هي: العمل بتعاليم النبي المرسل لتلك الأمة (١)، إذن فلزوم عمل الناس جميعا – بالشريعة الإسلامية انما يثبت فيما لو لم تختص رسالة نبي الإسلام بقوم وكان الإسلام دينا عالميا و خالدا إذن هل إن رسالة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم عالمية وخالدة؟
عالمية الإسلام
إن عالمية الدين الإسلامي من ضروريات هذا الدين الإلهي وحتى غير معتنقيه يعلمون بأن الدعوة الإسلامية عامة شاملة هناك الكثير من الشواهد والدلائل التاريخية التي تدل على أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث
الرسائل لرؤساء وملوك الدول القائمة آنذاك أمثال قيصر الروم وشاه إيران وحكام مصر والشام والحبشة ورؤساء القبائل العربية المختلفة ودعاهم جميعا لاعتناق هذا الدين المقدس. (٢)

---

١ – راجع الدرس التاسع والعشرين في الجزء الأول من هذا الكتاب.
٢ – ذكرت رسائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكتب التاريخية المعتبرة وقد جمعت في كتاب مستقل اسمه (مكاتيب الرسول).

إذن فلا يستثنى أي أحد عن الالتزام العملي بهذا الدين الإلهي.

الأدلة القرآنية على عالمية الإسلام

ومن ألقى نظرة – ولو كانت عابرة – على القرآن الكريم يدرك – بكل وضوح – عمومية دعوته ومنها أنه يخاطب الناس جميعا في آيات كثيرة * (يا أيها الناس) * أو * (يا بني آدم) * ويرى هدايته شاملة لجميع البشر * (الناس) * و * (العالمين) * ويرى الهدف من نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو إعلاء الإسلام وإظهاره على سائر الأديان. (١)

خلود الإسلام

إن الآيات القرآنية من خلال الإطلاق الزماني تنفي أي تحديد و تقييد للإسلام بزمان معين وخاصة هذا التعبير * (ليظهره على الدين كله) * (٢) حيث لا يبقى معه شك في هذا المجال.

ويمكن الاستدلال على هذه الحقيقة – أيضا – بالآيتين (٤١) و (٤٢) من سورة فصلت:

* (وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) *.

حيث تدل على أن القرآن الكريم لن يفقد صحته واعتباره أبدا و

---

١ – التوبة / ٣٣ والفتح / ٢٨ والصف / ٩.

(٢) التوبة / ٣٣، والفتح / ٢٨، والصف / ٩.

أيضا قد وردت روايات كثيرة تتضمن هذه الفكرة:
" حلال محمد حلال أبدا إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبدا إلى يوم القيامة ". (١)
إضافة إلى أن خلود الإسلام من ضروريات هذا الدين الإلهي ويثبت مع أن الإسلام على حق.
معالجة بعض الشبهات
١ - إن بعض الآيات التي تدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما كان مأمورا بهداية عشيرته وأقربائه أو أهل مكة وما يحاذيها (٢).
٢ - إن الآية (٦٩) من سورة المائدة فإنها اعتبرت محور السعادة في الإيمان والعمل الصالح ولم تتطرق إلى تأثير اعتناق الدين الإسلامي في السعادة.
٣ - في الفقه الإسلامي مسألة هي انه لو دفع أهل الكتاب الجزية فلهم الأمان في ظل الدولة الإسلامية ويمكنهم العمل بأحكام شريعتهم وهذا دليل على اعتبار سائر الأديان.
والجواب: إن الآيات التي تذكر عشيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أهل مكة إنما هي في مجال بيان مراحل الدعوة.

---

١ - الكافي: ج ١ ص ٥٨ وج ٢ ص ١٧ والبحار: ج ٢ ص ٢٦٠ وج ٢٤ ص ٢٨٨ ووسائل الشيعة ج ١٨، ص ١٢٤.
٢ - الشعراء / ٢١٤ والأنعام / ٩٢ والشورى / ٧، والسجدة / ٣.

وأما الآية المذكورة في سورة المائدة فهي في مجال بيان هذه الحقيقة بأن عامل السعادة هو الإيمان الواقعي والعمل بالوظائف التي شرعها الله تعالى لعباده ووفق الأدلة تثبت عالمية الإسلام وخلوده فإن وظيفة الناس – جميعا – بعد ظهور نبي الإسلام هي العمل بأحكام هذا الدين وتشريعاته وأما الميزة التي تميز أهل الكتاب عن سائر الكفار في الدين الإسلامي ارفاق دنيوي وفي رأي الشيعة إن هذا الإرفاق مؤقت وسيعلن عن الحكم النهائي في حقهم في زمان ظهور ولي العصر عجل الله فرجه – وسيكون الموقف منهم كالموقف من سائر الكفار ويمكن استفادة هذا المعنى من قوله تعالى: * (ولتظهره على الدين كله) *.

الأسئلة
١ – في أية صورة يلزم على جميع البشر اتباع الشريعة الإسلامية؟
٢ – بين الأدلة القرآنية على عالمية الإسلام وخلوده.
٣ – ما هي الأدلة الأخرى على هذه الفكرة؟
٤ – وضح هذه الفكرة: إن الآيات التي تأمر نبي الإسلام بهداية عشريته الأقربين وأهل مكة لا تدل على اختصاص رسالته بهم.
٥ – وضح هذه الفكرة: إن الإذن لأهل الذمة في العمل بشريعتهم لا يدل على إعفائهم من اعتناق الشريعة الإسلامية.

الدرس ٣٥
ختم النبوة
إن كثيرا من الأنبياء السابقين الذين كانوا معاصرين لصاحب الشريعة كانوا يروجون شريعته فكيف ينفي إمكان بعثة نبي آخر يقوم بمهمة تبليغ الإسلام ونشره مع ملاحظة خلود الدين الإسلامي؟
بملاحظة هذا السؤال لا بد أن نبحث حول موضوع الخاتمية.
الدليل القرآني على ختم النبوة
إن من جملة المعتقدات الإسلامية هو انه لم ولن يبعث أي نبي بعد نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ويلزم على كل مسلم الاعتقاد بها ولذلك فهي كسائر
ضروريات الدين لا تحتاج لاستدلال يقول القرآن الكريم:
* (ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) *. (١)
الاعتراضان حول الخاتمية:

---

١ - الأحزاب / ٤٠.

١ - إن لفظة الخاتم وردت بمعنى آخر غير الانتهاء وهو خاتم
اليد.
٢ - إن معنى الآية هو ان سلسلة " الأنبياء " تختتم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا
تدل
على خاتمية سلسلة " الرسل " به.
والجواب عن الاعتراض الأول: إن معنى الخاتم " ما يختتم به الشئ " و
خاتم الإصبع إنما سمي بذلك لهذا المعنى لتختم وتوقع به الرسل وأمثالها
والجواب عن الاعتراض الثاني: انه بانتهاء سلسلة الأنبياء تنتهي
سلسلة الرسل أيضا لان الرسول يملك مقام النبوة أيضا.
الأدلة الروائية على ختم النبوة
لقد ورد التصريح والتأكيد
على ختم النبوة بنبي الإسلام في المئات
من الروايات منها حديث المنزلة (١) الذي نقله الشيعة وأهل السنة متواترا
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك حين خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في
غزوة تبوك وخلف عليا عليه السلام في
المدينة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة
هارون من
موسى إلا أنه ليس بعدي نبي ".
وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:
" أيها الناس إنه لا نبي بعدي ولا سنة بعد سنتي ". (٢)

---

١ - بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٥٤ - ٢٨٩ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٥٨ وصحيح
مسلم ج ٢ ص ٣٢٣ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٨ ومستدرك الحاكم ج ٣
ص ١٠٩ ومسند ابن حنبل ج ١ ص ٣٣١ وج ٢ ص ٣٦٩ و ٤٣٧.
٢ - وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٥٥٥.

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:
" أيها الناس إنه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم ".
السر في ختم النبوة
إن السر في ختم النبوة أولا إن نبي الإسلام بمعونة أنصاره و خلفائه يمكنه إيصال رسالته إلى أسماع جميع البشر في العالم.
وثانيا: التكفل بصيانة الكتاب السماوي عن أي تحريف
وثالثا إن الشريعة الإسلامية يمكنها الاستجابة لاحتياجات البشر كلها حتى نهاية العالم.
الجواب عن الشبهة
كما أن تعقيد العلاقات الاجتماعية في الأزمنة السابقة اقتضى وضع أحكام جديدة أو تغيير الأحكام الساقة عليها فإن الأمر ظل كذلك حتى بعد نبي الإسلام فقد حدثت متغيرات بارزة أضحت معها العلاقات الاجتماعية أكثر تعقيدا فكيف لا تقتضي هذه المتغيرات شريعة جديدة؟
والجواب هو: إنه من خلال الأدلة المبرهنة على خلود الإسلام وختم النبوة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم نكتشف عدم الاحتياج لتغيير الأحكام والتشريعات
الإسلامية الأساس.
أجل نحن لا ننكر ظهور بعض الوقائع الاجتماعية الجديدة التي تقتضي وضع أحكام جديدة ولكن قد جعلت في الشريعة الإسلامية أصول وقواعد عامة توضع على أساسها أمثال هذه الأحكام والتشريعات الجزئية،

---

١ - وسائل الشيعة ج ١ والخصال ج ١ ص ٣٢٢ والخصال ج ٢ ص ٤٨٧.

حيث يمكن لذوي الصلاحية على أساسها وضع الأحكام اللازمة لمعالجتها وتطبيقها.

الأسئلة

١ – بعد أن أثبتنا خلود الإسلام فما هي الحاجة للبحث حول ختم النبوة؟

٢ – كيف يمكن لنا اثبات ختم النبو ة بالدليل القرآني؟

٣ – أذكر الشبهات التي طرحت حول هذا الدليل والجواب عنها.

٤ – أذكر ثلاث روايات من الروايات الدالة على الخاتمية.

٥ – لماذا ختمت سلسلة الأنبياء بظهور نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم؟

٦ – هل إن ختم النبوة يعني انسداد طرق الاستفادة من العلوم الإلهية؟ ولماذا؟

٧ – هل إن المتغيرات الاجتماعية بعد ظهور نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم تقتضي وضع شريعة جديدة؟ ولماذا؟

٨ – كيف يمكن تلبية حاجة المجتمع للأحكام التي تعالج الوقائع المستجدة والمستحدثة؟

الإمامة
إن تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين يشهد بأن إدارة شؤون الناس و
قضاياهم الدينية والدنيوية تتم على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان المسلمين يرون
أنفسهم مكلفين بإطاعة تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوامره لأن الله تعالى – إضافة
لمنصب النبوة والرسالة ومنصب تعليم الأحكام وتبيينها أعطاه
منصبا إلهيا آخر هو قيادة الأمد الإسلامية والولاية عليها وتتفرع منها
مناصب أخرى كالقضاء والقيادة العسكرية وغيرهما.
ومن البديهي أن الدين الذي يدعي قيادة البشرية كلها حتى نهاية
العالم لا يمكنه أن يفتقد مثل هذه المهام والمناصب السياسية والحكومية.
ولكن الحديث هو هل تتوقف مشروعية تولي هذا المنصب على إحراز
التعيين الإلهي فيه؟ أم أن هذا التعيين من قبل الله مختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأما
بعده فعلى الناس انتخاب الإمام وتعيينه واليا وقائدا عليهم؟
وهذه هي النقطة الرئيسية في الخلاف بين الشيعة وأهل السنة
فالشيعة تعتقد بأن الإمامة منصب إلهي لا بد وأن ينصب فيه الأفراد
الصالحون لذلك من قبل الله تعالى وقد قام الله تعالى بهذا التعيين بوساطة
نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حيث عين أمير المؤمنين عليا عليه السلام خليفة له من بعده مباشرة وعين

من بعده أحد شعر أماما من أولاده خلفاء من بعده ولكن أهل السنة يعتقدون بأن الإمامة الإلهية – كالنبوة والرسالة – قد انتهت بوفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم و
قد أوكل للناس مهمة تعيين الإمام من بعده.
وفي الواقع إن أهل السنة باعتقادهم بشرعية الإمامة بدون التعيين الإلهي وضعوا الحجر الأساس لفكرة عزل الدين عن السياسة وباعتقاد الشيعة أن هذا الأمر هو المنعطف الخطير للانحراف عن المسير الإسلامي الأصيل والصحيح وعبادة الله في جميع الجوانب والأبعاد الحياتية.

مفهوم الإمامة

الإمامة في اللغة الرئاسة وكل من يتصدى لرئاسة جماعة يسمى " الإمام " سواء كان في طريق الحق أو الباطل وقد أطلق على مصطلح " أئمة الكفر " (١) في القرآن الكريم على رؤساء الكفار
والإمامة في مصطلح علم الكلام عبارة عن – الرئاسة والقيادة العامة الشاملة على الأمة الإسلامية في كل الأبعاد والجوانب الدينية والدنيوية.
وإنما ورد ذكر كلمة " الدنيوية " لأجل التأكيد على سعة ميدان الإمامة ومجالها وإلا فإن تدبير القضايا الدنيوية للأمة الإسلامية وإدارتها جزء من الدين الإسلامي.

المسائل الأساس للإمامة ونقاط الاختلاف بين الشيعة والسني:

١ – لا بد من نصب الإمام وتعيينه من قبل الله تعالى.

---

١ – التوبة / ١٢.

٢ – لا بد وأن يملك الإمام العلم الموهوب له من الله، وأن يكون مصانا عن الخطأ.
٢ – لابد وأن يكون معصوما من المعصية.

الأسئلة

١ – ما هي المناصب الإلهية الأخرى لنبي الإسلام غير النبوة والرسالة؟
٢ – ما هي نقطة الخلاف الرئيسية بين الشيعة وأهل السنة؟
٣ – ما هي الآثار التي تترتب على الاعتقاد بالإمامة بدون التعيين الإلهي؟
٤ – أذكر المعنى اللغوي والاصطلاحي للإمامة.
٥ – ما هي المسائل الأساس لموضوع الإمامة /

الدرس ٣٧
الحاجة لوجود الإمام
قد يتصور البعض أن الشيعة يعتقدون في مجال تعيين الإمام الأول بما يعتقده أهل السنة في تعيين الخليفة الثاني من قبل الخليفة الأول مع هذا الاختلاف بأن رأي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعيينه الخليفة من بعده لم يتقبله الناس بينما
رأي الخليفة الأول وتعيينه قد تقبله الناس!
ولكن مع غض النظر عن هذا التساؤل كيف امتلك الخليفة الأول مثل هذا الحق في تعيين الخليفة من بعده؟ (وماذا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم –
باعتقاد أهل السنة – أكثر شعورا واهتماما بالإسلام منه؟ وكيف أهمل الأمة الإسلامية الوليدة دون قائد مع أنه كلما خرج من المدينة للجهاد كان يعين خليفة له فيها) إن الخلاف بين السنة والشيعة يدور حول هذه الفكرة، هل إن الإمامة مقام ديني خاضع للتشريع والتعيين الإلهي؟ أم أنها سلطة دنيوية خاضعة للعوامل الاجتماعية؟
يعتقد الشيعة بأنه حتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه لم يكن له أي دور مستقل في
تعيين خليفته بل قام بهذا التعيين بأمر إلهي وفي الواقع أن الحكمة في ختم النبوة مرتبطة تماما بتعيين الإمام المعصوم.
ومن هنا يتبين أنه لماذا طرحت الإمامة في الفكر الشيعي كأصل

عقائدي لا كحكم فقهي فرعي.
ضرورة وجود الإمام
قلنا إنه قد اقتضت الحكمة الإلهية بعثة الأنبياء لهداية الخلق والقيام
بتنفيذ الأحكام الاجتماعية الدينية ووضحنا أيضا أن الدين الإسلامي دين
عالمي وخالد وإنما يتوافق ختم النبوة مع الحكمة من بعثة الأنبياء فيما لو
كانت الشريعة السماوية الأخيرة مستجيبة لجميع الاحتياجات البشرية.
فقد تعهد الله تعالى بحفظ هذا الكتاب العزيز عن كل تغيير وتحريف
ووضع مهمة بيان تفاصيل الأحكام على عاتق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن
خلال العلم
الذي وهبه الله تعالى له تثبت حجية سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم واعتبارها
كمصدر من
المصادر الأصلية لمعرفة الإسلام.
ومع ذلك كله ان الظروف الصعبة التي عاشها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تسمح
له ببيان جميع الأحكام والتشريعات الإسلامية للناس كافة وحتى ما
تعلمه الأصحاب لم يضمن الحفاظ عليه فقد اختلف في طريقة
وضوئه صلى الله عليه وآله وسلم بالرغم من أنها كانت بمرأى من الجميع سنوات
طويلة ثم إنه
كيف لم تختلف تلك الأحكام والتشريعات التي تصطدم وأهواء بعض
الأفراد وأطماع بعض الجماعات ومصالحهم؟!
ومن خلال هذه الملاحظات يتضح أن الدين الإسلامي إنما يمكن
طرحه كدين كامل وشامل يستجيب لكل الاحتياجات ولجميع البشر
حتى نهاية العالم فيما لو افترض وجود طريق لتوفير المصالح الضرورية
للأمة في داخل الدين نفسه تلك المصالح التي يمكن أن تتعرض للتهديد
والتدمير مع وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا يتمثل هذا الطريق إلا في تعيين
الخليفة

الصالح للرسول (ص) يعني ان ختم النبوة إنما يكون موافقا للحكمة الإلهية فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصوم، الإمام الذي يمتلك خصائص نبي الإسلام (ص) كلها (أي التعيين بأمر إلهي والعلم الموهوب من الله ومقام العصمة) عدا النبوة والرسالة.

تذكرة إن أهل السنة لا يقولون بمثل هذه الخصائص لأي خليفة من الخلفاء بل إنهم نقلوا في كتبهم المعتبرة عثراتهم واشتباهاتهم وعجزهم عن الإجابة على أسئلة الناس الدينية. (١)

الأسئلة

١ – أذكر رأي الشيعة في موضوع الإمامة والفرق بينه وبين رأي أهل السنة.

٢ – لماذا يعتبر الشيعة الإمامة أصلا عقائديا؟

٣ – بين فكرة ضرورة الإمام.

٤ – ما هي النتائج التي يتوصل إليها من هذا البيان؟

---

١ – شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٤٢ – ١٥٨ وج ٣ ص ٥٧.

الدرس ٣٨
تعيين الإمام
وضحنا أن ختم النبوة بدون نصب الإمام المعصوم وتعيينه مخالف للحكمة الإلهية.
إن الله تعالى يقول:
* (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) *. (١)
وهذه الآية اتفق المفسرون جميعا على نزولها قبل وفاة الرسول (ص) بشهور.
وبها تم تعيين الإمام حين رجوع النبي (ص) من حجة الوداع فقد جمع الحجاج كلهم في موضع يقال له (غدير خم) وخلال إلقائه خطبته الطويلة عليهم سألهم " ألست أولى بكم من أنفسكم؟ " قالوا: " بلى " ثم أخذ بكتف علي عليه السلام ورفعه أمام الناس وقال: " من كنت مولاه فعلي مولاه " وبهذا أثبت للإمام عليه السلام الولاية الإلهية فبايعه جميع الحاضرين ومنهم الخليفة الثاني الذي هنأه بقوله: بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى

---

١ - المائدة / ٣.

كل مؤمن ومؤمنة " (١)
وفي هذا اليوم نزلت هذه الآية الشريفة
* (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) * فكبر الرسول (ص) وقال: " تمام نبوتي وتمام دين الله ولاية علي بعدي ".
إن الروايات الواردة في شأن نزول هذه الآية يتضح جليا ان الاكمال و الإتمام الذي اقترن بيأس الكفار من الحاق الضرر بالإسلام إنما تحقق بنصب خليفة للنبي (ص) من قبل الله تعالى وورد في رواية نقلها أحد علماء أهل السنة الكبار (الحويني): فقام أبو بكر وعمر فقالا يا رسول الله هذه الآيات خاصة في علي عليه السلام فقال (ص) بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة قالا يا رسول الله بينهم لنا فقال: علي أخي ووزيري ووارثي ووصيي و خليفتي في أمتي وولي كل مؤمن من بعدي ثم ابني الحسن ثم ابني الحسين ثم تسعة من ولد ابني الحسين واحدا بعد واحد القرآن معهم و هم مع القرآن لا يفارقونه حتى يردوا علي الحوض). (٢)
إن النبي (ص) كان مأمورا قبل ذلك بالاعلان الرسمي عن إمامة أمير المؤمنين (ع) على الرأس العام ولكنه كان يبحث عن فرصة مناسبة تتوفر فيها ظروف الاعلان عن مثل هذا التعيين حتى نزلت الآية الشريفة:
* (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) *. (٣)

---

١ - للتأكيد من قطعية سند الحديث ودلالته يراجع عبقات الأنوار والغدير.
٢ - غاية المرام الباب ٥٨ الحديث ٤ نقلا عن الفرائد للحموييني.
٣ - المائدة / ٦٧.

ومع نزول هذه الآية بادر النبي (ص) في غدير خم للقيام بهذه المهمة. (١)
وكذلك حين نزلت هذه الآية:
* (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) *. (٢)
سأله جابر بن عبد الله من هم الذين وجبت طاعتهم؟ أجاب (ص):
" هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف بالتوراة بالباقر - ستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ". (٣)
وكما أخبر النبي (ص) فقد بقي جابر حيا حتى إمامة الباقر (ع) و أبلغه سلام رسول الله (ص).

---

١ - الغدير ج ١.
٢ - النساء / ٥٩.
٣ - غاية المرام ص ٢٦٧ ج ١٠ (ط قديمة) واثبات الهداة ج ٣ ص ١٢٣ وينابيع المودة ص ٤٩٤.

الأسئلة

١ – ما هي الآية المرتبطة بتعيين الإمام؟ بين دلالتها على ذلك.

٢ – بين الواقعة التي عين فيها أمير المؤمنين (ع) إماما؟

٣ – لماذا أخر النبي (ص) الاعلان عن إمامة أمير المؤمنين (ع)؟ وكيف أقدم على هذا العمل؟

٤ – أذكر الروايات الدالة على إمامة سائر الأئمة عليهم السلام.

٥ – بين سائر الروايات التي تشير لإمامة أهل البيت (ع).

الدرس ٣٩
العصمة وعلم الإمام
قلنا إن الخلاف بين الشيعة وأهل السنة في موضوع الإمامة يدور حول ثلاث مسائل:
١ – لزوم نصب الإمام من قبل الله تعالى
٢ – لزوم اتصافه بملكة العصمة.
٣ – لا بد وأن يملك الإمام العلم الموهوب من الله.
ونبحث في الدرس حول العصمة والعلم الموهوب من الله.
عصمة الإمام
دلالة الإمام
دلالة الآيات على العصمة:
١ – آية: * (لا ينال عهدي الظالمين) * (١).
هذه الآية تنفى منح المناصب الإلهية لأولئك الملوثين بالذنوب
٢ – آية أولي الأمر (٢) حيث فرض اطاعتهم المطلقة وقرنها بإطاعة

---

١ – البقرة / ١٢٤.
٢ – النساء / ٥٩: ".. أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ".

رسول الله (ص) يستفاد منها أن إطاعتهم لا يمكن أن تنافي إطاعة الله تعالى.
٣ - آية التطهير: * (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) *. (١)
إن التطهير المطلق ونفي كل رجس وقبيح يعني العصمة التي تحققت لأهل البيت بإرادة الله التكوينية.
وأما تطهير العباد بإرادة الله التشريعية لا تختص بأحد.
تذكرة إن هناك أكثر من سبعين رواية وقد وردت أكثرها عن علماء أهل السنة تدل على أن الآية الشريفة نزلت في شأن " الخمسة الطيبين ". (٢)
وفي حديث الثقلين جعل الرسول (ص) أهل البيت والعترة قرناء للقرآن الكريم وأكد عدم افتراقهما أبدا، وهو دليل واضح على عصمتهم وذلك لأن ارتكاب المعصية حتى لو كانت صغيرة وإن صدرت سهوا - يعني الافتراق العملي عن القرآن.

علم الإمام

بعض أحاديث النبي (ص) في مجال علم الإمام (ع)
١ - " لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم " (٣).

---

١ - الأحزاب / ٣٣
٢ - غاية المرام ص ٢٨٧ - ٢٩٣.
٣ - غاية المرام ص ٢٦٥ وأصول الكافي ج ١ ص ٢٩٤.

٢ - " أنا مدينة العلم وعلي بابها ". (١)
ونقل عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: " إن رسول الله (ص) علمني ألف باب، وكل باب يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب حتى علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وعلمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب ". (٢)
إن أئمة أهل البيت (ع) إضافة إلى ما كانوا يتعلمونه من النبي (ص) كانوا يتمتعون أيضا بنوع من العلوم غير العادية التي تفاض عليهم من طريق " الالهام " أو " التحديث " (٣) وبمثل هذا العلم بلغ بعض الأئمة الأطهار (ع) مقام الإمامة في فترة طفولتهم حيث كانوا يعلمون لكل شئ ولم يحتاجوا للتعلم والدراسة لدى آخرين.
أما الآيات:
١ - * (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) * (٤)
فإن من قرنت شهادته بشهادة الله تعالى وإن توفره على علم الكتاب قد أهله لمثل هذه الشهادة لا شك بأنه يتمتع بمقام رفيع.
وتتضح لنا أهمية التوفر على " علم الكتاب " حينما نتأمل في هذه الآية:

---

١ - مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٢٦.
٢ - ينابيع المودة ص ٨٨ وأصول الكافي ج ١ ص ٢٩٦.
٣ - أصول الكافي كتاب الحجة ص ٢٦٤ وص ٢٧٠.
٤ - الرعد / ٤٣.

* (قال الذي عنده علم من الكتاب أن آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) * (١)
إن التعرف على " بعض " علم الكتاب له مثل هذه الآثار المدهشة، و من هنا يمكن أن ندرك الآثار الكبيرة للتعرف على " جميع " علم الكتاب.
٢ - * (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) * (٢) ولفظه * (منه) * تدل على أن هذا الشاهد من أقرباء الرسول (ص) وأهل بيته وقد نقلت روايات كثيرة من طرق الشيعة وأهل السنة تؤكد أن المراد من هذا الشاهد هو علي بن أبي طالب (ع).
الروايات الواردة حول علوم أهل البيت عليهم السلام
١ - ففي حديث طويل عن الإمام الرضا (ع) يقول فيه:
"... وإن العبد إذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاما فلم يعي بعده بجواب ولا يحير فيه عن الصواب فهو معصوم مؤيد موفق مسدد قد أمن من الخطايا والزلل والعثار يخصه الله بذلك ليكون حجة على عباده وشاهده على خلقه، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.. فهل يقدمون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه ". (٣)
٢ - وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: " أي إمام

---

١ - النمل / ٤٠.
٢ - هود / ١٧.
٣ - بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٥٨.

لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير فليس ذلك بحجة لله على خلقه ". (١)

الأسئلة

١ – أذكر الآيات التي يمكن أن نثبت بها عصمة الإمام.

٢ – أذكر الرواية الدالة على عصمة الإمام.

٣ – ما هي الطرق التي يصل من خلالها علم الإمام الخاص؟

٤ – من هم الذين امتلكوا مثل هذا العلم في الأزمنة السابقة؟

٥ – ما هي الآية التي تدل على علم الإمامة؟ وكيف تدل على ذلك؟

٦ – بين أهمية علم الكتاب.

٧ – أذكر نماذج من الروايات المرتبطة بعلوم الأئمة.

---

١ – أصول الكافي ج ١ ص ٢٥٨.

الدرس ٤٠
الإمام المهدي
" عجل الله تعالى فرجه الشريف "
المقدمة
رويت أحاديث كثيرة من قبل الشيعة وأهل السنة عن النبي (ص) أشير في بعضها إلى عدد الأئمة الاثني عشر وجاء في بعضها أن تسعة منهم من أولاد الحسين (ع) وأخيرا ذكرت أسماؤهم واحدا بعد الآخر في بعض الأحاديث المنقولة عن أهل السنة والمتواترة من طرق الشيعة. (١)
نخص هذا الدرس بالبحث في موضوع الإمام الثاني عشر صاحب الزمان – عجل الله فرجه الشريف.
الحكومة الإلهية العالمية
إن الهدف الإلهي من بعثة الأنبياء هو: توفير الأجواء والظروف المناسبة لحركة البشر الاختيارية ومسيرتهم:
* (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) *. (٢)

---

١ – منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر ط ٣ ص ١٠ – ١٤٠.
٢ – النساء / ١٦٥.

لا إلزام الناس وقهرهم على اعتناق الدين الحق واتباع القادة الإلهيين وقد تحقق هذا الهدف ولكن قد لوحظت أهداف أخرى وراء ذلك والهدف النهائي هنو تشكيل المجتمع المثالي القائم على أساس عبادة الله والقيم والتعاليم الإلهية ونشر العدل والقسط في الأرض كلها.

إن الله تعالى وعد – في كتبه السماوية – بإقامة الحكومة الإلهية على الأرض كلها ويمكن اعتبار ذلك نوعا من الإنباء عن الغيب بالنسبة لتوفر الأجواء المناسبة لتقبل الدين الحق على نطاق الأرض كلها وأيضا يمكن اعتبار ذلك هو الهدف النهائي لبعثة خاتم النبيين (ص) ودينه العالمي و الخالد وذلك لأن الله قال في حقه:

* (ليظهره على الدين كله) *. (١)

إن هذا الهدف سيتحقق بوساطة الإمام الأخير.

الوعد الإلهي

إن الوعد الإلهي قد ذكر في عدة آيات من القرآن الكريم:

١ – * (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) *. (٢)

٢ – * (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) *. (٣)

---

١ – التوبة / ٣٣، والفتح / ٢٨ والصف / ٩ وراجع بحار الأنوار ج ٥١ ص ٥٠

٢ – الأنبياء / ١٠٥.

٣ – القصص / ٥.

٣ - * (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) *. (١)

نماذج من الروايات

إن الروايات التي نقلها الشيعة وأهل السنة عن النبي (ص) حول الإمام المهدي - عجل الله فرجه - تفوق حد التواتر.

بعض الروايات التي نقلها أهل السنة:

١ - " لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا ". (٢)

٢ - وعن أم سلمة: أن رسول الله (ص) قال: المهدي من عترتي ومن ولد فاطمة ". (٣)

الغيبة ومغزاها

تعتبر الغيبة من خصائص الإمام الثاني عشر - عجل الله فرجه الشريف -

---

١ - النور / ٥٥.

٢ - صحيح الترمذي ج ٢ ص ٤٦ وصحيح أبي داود ج ٢ ص ٢٠٧ ومسند أحمد حنبل ج ١ ص ٣٧٨ وينابيع المودة ص ١٨٦ و ٢٥٨ و ٤٤٠ و ٤٨٨ و ٤٩٠.

٣ - اسعاف الراغبين ص ١٣٤ نقلا عن صحيح مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة والبيهقي.

روى عبد العظيم الحسني عن الإمام محمد الجواد (ع) عن آبائه (ع) عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: " للقائم منا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة ". (١) وروي عن الإمام السجاد عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب (ع)
أنه قال: " وإن للقائم منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى فلا يثبت على إمامته إلا من قوى يقينه وصحت معرفته ". (٢)

سيرة الأئمة الأطهار (ع) وتاريخهم

إن أمير المؤمنين عليا (ع) الذي تصدي منصب الحكومة بعد الخلفاء الثلاث استغرقت فترة خلافته كلها في محاربة أصحاب الجمل ومعاوية و الخوارج وأخيرا أستشهد بيد أحد الخوارج.
وقد توفي الإمام الحسن (ع) مسموما بأمر من معاوية وبعد موت معاوية تربع على عرش الحكم الأموي ابنه يزيد وكان من المتوقع أن يتعرض الإسلام للإبادة والدمار ولذلك لم يجد الإمام الحسين (ع) مناصا من النهوض وإعلان الثورة وأنقذ - باستشهاده مظلوما - الإسلام من خطر الإبادة حيث فجر في المسلمين الوعي واليقظة.
وقام سائر الأئمة الأطهار (ع) بتثبيت الأصول العقائدية وترسيخ و

---

١ - منتخب الأثر ص ٢٥٥.
٢ - منتخب الأثر ص ٢٥١.

نشر المعارف والأحكام الإسلامية وتربية النفوس المؤهلة وتهذيبها.
وتمكن الأئمة الأطهار (ع) من عرض الحقائق الإسلامية وبيانها للناس بالرغم من مواجهتهم الكثير من التحديات والمشاكل والمتاعب الشديدة وقد بينوا بعضا منها للناس عامة وبعضها بينوها لخصوص شيعتهم وخواص أصحابهم وضمن - بذلك - بقاء الشريعة المحمدية.
أما الحكام الظالمون كانوا يفزعون من الوعد بظهور الإمام المهدي (ع) ومن هنا فرض المعاصرون منهم للإمام الحسن العسكري (ع) رقابة مشددة عليه ليقتلوا أي طفل يولد له وقد استشهد الإمام (ع) نفسه بأيديهم وهو في ريعان شبابه ولكن شاءت الإرادة الإلهية أن يولد المهدي (ع) وأن يدخر لخلاص البشرية ونجاتها ولهذا السبب لم يوفق للقائه خلال حياة أبيه وحتى الخامسة من عمره - إلا أفراد قليلون من خواص الشيعة بيد أن الإمام (ع) ارتبط بالناس بعد وفاة أبيه بوساطة نواب أربعة كلفوا بمهمة النيابة الخاصة (١) واحدا بعد الآخر وبعد ذلك بدأت " الغيبة الكبرى " التي ستستمر إلى مدة غير معلومة حتى اليوم الذي يتم فيه إعداد البشرية لتقبل الحكومة الإلهية العالمية وحينئذ سيظهر الإمام (ع) بأمر من الله - تبارك وتعالى -.

فائدة وجود الإمام في زمن الغيبة

إن الناس خلال الغيبة يستفيدوا من عطاءات الإمام (ع) كما

---

١ - وهم: عثمان بن سعيد، ومحمد بن عثمان بن سعيد، والحسين بن روح، وعلي بن محمد السمري.

يستفيدوا من الشمس خلف الغيوم (١) وهكذا استفادوا منه الكثير في قضاء حوائجهم ومعالجة مشاكلهم المادية والمعنوية ويعتبر بقاؤه حيا عاملا كبيرا ومؤثرا في زرع الطمأنينة وشيوع الأمل بين الناس ليحاولوا إصلاح أنفسهم وإعدادها لظهوره.

الأسئلة

١ – ما هو الهدف النهائي من بعثة نبي الإسلام (ص)؟

٢ – كيف يتحقق مثل هذا الهدف؟

٣ – ما هي الآيات تبشر بإقامة الدولة الإلهية العالمية؟

٤ – أذكر نماذج من روايات أهل السنة حول الإمام المهدي – عجل الله تعالى فرجه الشريف –.

٥ – أذكر نماذج من روايات أهل البيت (ع) حول غيبته.

٦ – بين الغيبة الصغرى والكبرى والفرق بينهما.

٧ – وضح مغزى غيبة الإمام المهدي – عج –.

٨ – ما هي الفوائد والمعطيات التي يمكن للناس الاستفادة منها في زمن الغيبة؟

---

١ – بحار الأنوار للمجلسي ج ٥٢ ص ٩٢.

- ٣ - معرفة المعاد

الدرس ٤١

أهمية معرفة العاقبة

في هذا الجزء وفي البداية نبين ميزة الأصل المعاد العقائدي و تأثيره الخاص في السلوك والأفعال الفردية والاجتماعية للإنسان وبعد ذلك نوضح انه كما أن " معرفة الوجود " بدون الاعتقاد بالله الواحد معرفة ناقصة كذلك تكون " معرفة الإنسان " بدون الاعتقاد بروح خالدة معرفة غير كاملة، ثم بعد ذلك نتناول بالبحث المسائل الأساس للمعاد.

أهمية الاعتقاد بالمعاد

إن لمعرفة الهدف النهائي للحياة دورا أساسيا في توجيه النشاطات واختيار الأعمال وتعيينها وان العامل الرئيس في تحديد طريقة الحياة يكمن في نوع نظرة الإنسان ورؤيته ومعرفته بحقيقته وكماله وسعادته، و من يعتقد ويرى حياته محددة بهذه الأيام القليلة للحياة الدنيوية ولا يعرف وراء المنافع والمكاسب المرتبطة بهذه الحياة فإنه سوف ينظم أعماله وسلوكه بما يشبع حاجاته الدنيوية ومتطلبات هذا العالم أما ذلك الذي يؤمن بان حقيقته أوسع وأبعد من الظواهر المادية يرى الموت منعطفا ينتقل من خلاله من هذا العالم الموقت العابر إلى عالم خالد باق فإنه سوف يخطط و ينسق نظام حياته بطريقه تكون معها أكثر عطاء وأفضل تأثيرا على حياته

المؤبدة فان المتاعب لا تمنعه من مواصلة جهوده ونشاطاته في سبيل ممارسة وظائفه وبلوغ السعادة والكمال الأبديين.

إن هذين النوعين من معرفة الإنسان يؤثر في الحياة الفردية وفي الحياة الاجتماعية وفي مواقف الأفراد وعلاقاتهم فيما بينهم وحين يسود المجتمع مثل هذا الاعتقاد فلا يحتاج كثيرا إلى استخدام القوة في سبيل تنفيذ القوانين والأحكام العادلة ومكافحة الظلم والاعتداد على الآخرين.

ومن خلال هذه الملاحظات تتضح لنا أهمية مسألة المعاد وقيمة البحث فيها.

إن التسليم بوجود نوع من علاقة العلة والمعلول بين ما يشهده هذا العالم من المواقف والأفعال وبين السعادة والشقاء في عالم الآخرة تؤثر في توجيه السلوك والأفعال الفردية والاجتماعية.

ومن هنا كان من الضروري أن نثبت أيضا إضافة لإثبات المعاد و الحياة الأخروية العلاقة بين الحياتين (الدنيا والآخرة) وتأثير الأفعال الاختيارية في السعادة والشقاء الأبديين.

اهتمام القرآن بمسألة المعاد

إن أكثر من ثلث الآيات القرآنية مرتبط بالحياة الأبدية وأكد فيها هذه الأمور:

١ – لزوم الإيمان بالآخرة. (١)

٢ – آثار انكاره ومضاعفاته. (٢)

---

١ – البقرة / ٤ ولقمان / ٤، والنمل / ٣ و...

٢ – الاسراء / ١٠ والفرقان / ١١، وسبأ / ٨، والمؤمنون / ٧٤ و...

٣ – ذكر النعم الأبدية. (١)
٤ – أنواع العذاب الأبدي (٢)
٥ – العلاقة بين الأعمال الحسنة والسيئة مع نتائجها وآثارها الأخروية.
٦ – امكان القيامة وضرورتها والجواب عن شبهات المنكرين.
٧ – وقد بينت بعض الآيات أن السبب في الكثير من أنواع الضلال والانحراف هو نسيان أو انكار القيامة ويوم الجزاء (٣)
إن القسم الأكبر من مناظرات الأنبياء مع الناس كان يدور حول موضوع المعاد وإن الجهود التي بذلوها لإثبات هذا الأصل كانت أكثر من جهودهم لإثبات التوحيد وذلك لان أغلب الناس كانوا يتخذون موقفا أكثر عنادا وتشددا من هذا الأصل.
عاملان أساسيان بعناد بعض الناس مقابل المعاد:
١ – عامل مشترك يتجسد في انكار كل أمر غيبي وغير محسوس.
٢ – عامل مختص بموضوع المعاد أي الرغبة بالتحلل وعدم الشعور بالمسؤولية.
* (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) *. (٤)
فمثلا إن الذين في قلوبهم مرض يطيقون التعبيرات القرآنية عن

---

١ – الرحمن من الآية ٤٦ إلى آخر السورة والواقعة / ١٥ – ٣٨ والدهر / ١١ – ٢١، و..
٢ – الحاقة / ٢٠ – ٢٧ والملك / ٦ – ١١، والواقعة / ٤٢ – ٥٦ و...
٣ – سورة ص / ٢٦، والسجدة / ١٤.
٤ – القيامة / ٣ – ٥.

المعاد على ظواهر هذا العالم الدنيوي وبعث الأمم والشعوب وإقامة المجتمع غير الطبقي وبناء الجنة الأرضية أو انهم يفسرون عالم الآخرة والمفاهيم المرتبطة به بمفاهيم قيمية خلقية واعتبارية وأسطورية.

وقد اعتبر القرآن الكريم أمثال هؤلاء من " شياطين الإنس " و " أعداء الأنبياء " الذين يحاولون تشويه الأذهان وخداع القلوب بأحاديثهم الخادعة:

* (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) *. (١)

النتيجة

اختيار طريق ينتهي إلى السعادة الحقيقية والكمال النهائي رهين هذا الاعتقاد الذي بموجبه لا تنتهي الحياة الإنسانية بالموت وإن الحياة في هذا العالم مقدمة وأرضية لحصول المسرات والآلام في ذلك العالم وإذا لم يعالج الإنسان هذه المسائل فلا يمكنه معرفة الطريق وتعيين نظام الحياة و طريقتها.

تذكار: احتمال وجود مثال هذه الحياة الأخروية مهما افترضناه ضعيفا فإنه يكفي في دفع الإنسان العاقل الواعي إلى البحث والفحص حول تلك الحياة وذلك لان " مقدار المحتمل " غير نهائي.

---

١ - الأنعام / ١١٢ - ١١٣.

الأسئلة

١ – اشرح الفرق بين الاعتقاد بالمعاد وعدمه في مجال توجيه النشاطات الحياتية.

٢ – متى يمكن للاعتقاد بالحياة الأخروية أن يؤثر أثره الكبير في توجيه الحياة الوجهة المطلوبة؟

٣ – اشرح اهتمام القرآن بموضوع المعاد.

٤ – اشرح السبب في تشدد الناس وعنادهم في الاعتراف بالمعاد.

٥ – أذكر نموذجا من سعي بعض مرضى النفوس لتحريف الاعتقاد بالمعاد وموقف القرآن الكريم من هذه التحريفات.

٦ – اشرح ضرورة البحث في المعاد وتفضيلها على البحث في سائر المسائل الدنيوية.

الدرس ٤٢
ارتباط موضوع المعاد بقضية الروح
ملاك الوحدة في الكائن الحي
يتألف بدن الإنسان من مجموعة " خلايا " كما هو الحال في جميع الحيوانات وكل خلية منها ففي تحول وتبدل مستمرين.
ما هو الملاك في اعتبار هذه المجموعة المتغيرة كائنا واحدا؟
والجواب البسيط هو إن ملاك الوحدة في كل كائن حي هو ارتباط الأجزاء في زمان واحد أو أزمنة متعددة.
ولكن هذا الجواب غير مقنع لأننا لو افترضنا عمارة بصورة لا تبقى معها الحجارة السابقة تماما بعد فترة فلا يمكن لنا أن نعتبر مجموعة الحجارة الجديدة هي العمارة السابقة نفسها.
ويمكن إكمال الجواب السابق بهذه الصورة إن هذه التحولات التدريجية لا تضر بوحدة المجموعة في صورة حدوثها بسبب عامل طبيعي وداخلي كما هو الملاحظ في الكائنات الحية.
ولكن يبرز السؤال حول هذا العامل نفسه: ما هي حقيقته؟ وما هو ملاك الوحدة فيه؟
ووفقا لنظرية فلسفية معروفة: فان ملاك الوحدة في كل موجود

طبيعي هو أمر بسيط (= غير مركب) وغير محسوس يسمى " الطبيعة " أو " الصورة " لا يتبدل خلال تبدلات المادة وتغيراتها ويعبر عن هذا العامل بالنفس في خصوص الكائنات الحية.
والفلاسفة القدامى كانوا يعتبرون النفس النباتية والحيوانية " مادية " و أما النفس الإنسانية فهي " مجردة " ولكن هناك الكثير من حكماء الإسلام أمثال صدر المتألهين الشيرازي ذهبوا إلى أن النفس الحيوانية تحتوي على مرتبة من التجرد أيضا واعتبروا الشعور والإرادة من لوازم وعلامات الموجود المجرد ولكن الماديين أنكروا الروح المجرة والماديون الجدد (أمثال أصحاب الفلسفة الوضعية) أنكروا كل شئ غير محسوس و بطبيعة الحال فإنهم لا يملكون علاجا صحيحا لملاك الوحدة في الكائنات الحية
إن الحياة النباتية مرهونة بوجود الصورة والنفس النباتية الخاصة في المواد المستعدة وحين يزول الاستعداد عن هذه المواد تنعدم الصورة أو النفس النباتية أيضا
وأما في مجال الحيوان والإنسان فبما ان نفس كل منهما مجردة فيمكن أن تبقى هذه النفس بعد أن يتلاشى البدن ويضمحل وحين تتعلق من جديد بالبدن، يحتفظ الشخص بوحدته كما هو الحال قبل الموت.
ومن هنا يمكن أن نتصور للحياة بعد الموت صورة صحيحة و مقبولة فيما لو اعترفنا بوجود الروح أولا واعتبرنا الروح أمرا جوهريا ثانيا و اعتقدنا بان الروح قابلة للاستقلال وللبقاء إذا تلاشى البدن ثالثا.
موقع الروح في كيان الإنسان
إن تركيب الإنسان من الروح والبدن ليس مثل تركيب الماء من

الأوكسجين والهيدروجين بحيث لو انفصل أحدهما عن الآخر لانعدم الموجود المركب بصفته كلا ومركبا بل إن الروح هي العنصر الأصلي والأساس في الإنسان وما دامت باقية فإن إنسانية الإنسان وشخصية الشخص باقية ومحتفظة بنفسها ومن هنا فإن تغير خلايا البدن وتبدلها لا يضر بوحدة الشخص وذلك لان ملاك الوحدة الحقيقية لإنسان هو وحدة روحه.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة حيث يقول: * (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم...) *. (١)

---

١ - السجدة / ١١.

الأسئلة

١ – هل يمكن أن نعتبر ارتباط الأجزاء المتغيرة لمجموعة واحدة، ملاكا لوحدتها؟ ولماذا؟

٢ – ما هو الملاك الآخر الذي يمكن افتراضه للوحدة بين تركيبات الجسم؟

٣ – ما هي النظرية الفلسفية المعروفة حول وحدة الموجودات المركبة، وخاصة الكائنات الحية؟

٤ – ما هو الفرق بين الصورة الطبيعية والنفس؟

٥ – ما هو فرق النفس النباتية عن النفس الحيوانية والإنسانية؟ وما هو تأثير هذا الفرق في مسألة المعاد؟

٦ – ما هي الأصول التي يحتاج إليها التصور الصحيح للمعاد؟

٧ – ما هو الفرق بين تركيب الإنسان من الروح والبدن والتركيبات الكيميائية؟

الدرس ٤٣
تجرد الروح
المقدمة
إن كل إنسان يملك غير بدنه المادي جوهرا غير مادي يقبل الاستقلال عن البدن ترتبط به انسانيته وشخصيته وأما في غير هذه الصورة فإن افتراض حياة جديدة للشخص نفسه افتراض غير معقول.
ومن هنا يجب علينا قبل البحث في موضوع اثبات المعاد أن نبحث في تجرد الروح ونبرهن على إثباتها.
الأدلة العقلية على تجرد الروح
بحث العلماء كثيرا في الروح (ويعبر عنها في الاصطلاح الفلسفي بالنفس).
مقدمة على اثبات تجرد الروح: الإنسان يملك نوعين من الادراك:
أحدهما يحتاج فيه إلى الحواس.
والثاني لا يحتاج فيه إلى الحواس
فمن الممكن حصول احتمال الخطأ في النوع الأول من المدركات

خلافا للنوع الثاني فهي لا مجال فيها للخطأ والاشتباه والشك والتردد، فيمكن للمرء أن يشك في لون جلده وانه هل شخصه كما هو فعلا أم لا، و لكن لا يمكن لأحد أن يشك
هل انه فكر أم لا أو أراد شيئا أم لا، أو شك أم لا!؟
وهذه الفكرة هي التي تطرح في الفلسفة بهذا التعبير وهو ان العلم على قسمين:
١ – الحضوري وهو يتعلق مباشرة بالواقع نفسه ومن هنا فهو لا يقبل الخطأ.
٢ – الحصولي فبما انه يحصل بوساطة السورة الادراكية لذلك لا يقبل الشك والتردد ذاتا. (١)
ومعنى ذلك أن أكثر علوم الإنسان ومعارفه يقينية هي العلوم الحضورية والمدركات الشهودية التي تشمل العلم بالنفس والاحساسات و المشاعر والعواطف والحالات النفسية الأخرى ومن هنا فإن " أنا " المدرك المفكر المريد لا يقبل الشك والتردد أبدا.
ومن هنا يبرز هذا السؤال هل هذا " الأنا " هو البدن المادي و المحسوس؟ أم ان وجودها غير وجود البدن.
والجواب أولا إننا ندرك " الأنا " بالعلم الحضوري وأما البدن فلا بد من أن نتعرف عليه بمعونة الحواس إذن فالأنا (= النفس والروح) غير البدن.
ثانيا: إن " الأنا " موجود يبقى محتفظا خلال عشرات السنين على

---

١ – راجع: تعليم الفلسفة الجزء الأول الدرس الثالث عشر.

وصف الوحدة والشخصية الحقيقية وندرك هذه الوحدة والشخصية بالعلم الحضوري الذي لا يقبل الخطأ وأما أجزاء البدن فإنها تتعرض للتغير والتبديل مرات عديدة ولا يوجد أي ملاك للوحدة الحقيقية بين أجزائه الساقة واللاحقة.

ثالثا إن " الأنا " موجود بسيط لا يقبل التجزئة والتقسيم بينما أعضاء البدن متعددة وقابلة للتقسيم.

رابعا: الملاحظ ان جميع الحالات النفسية كالاحساس والإرادة وغيرهما لا تملك الخاصة الأصلية والرئيسة للماديات أي الامتداد والقابلية للتقسيم

ولذلك يكون موضوع هذه الأعراض جوهرا غير مادي (= المجرد)

والأطياف الصدقة وتحضير الأرواح المقترن بشواهد قاطعة و

معبرة وكذلك كرامات أولياء الله وبعض أعمال المرتاضين من جملة الأدلة الباعثة على الاطمئنان بوجود الروح واستقلالها وبقائها بعد الموت.

شواهد قرآنية

إن وجود الروح الإنساني ثابت في القرآن الكريم كما يقول في كيفية خلق الإنسان:

* (ونفخ فيه من روحه) * ١ وفي مجال الحديث في خلق ا = آدم آدم (ع) يقول تعالى:

* (ونفخت فيه من روحي) *. (٢)

---

١ - السجدة / ٩.

٢ - الحجر ٢٩ وسورة ص / ٧٢.

وكذلك يستفاد من آيات أخرى ان الروح غير البدن وانها تمتلك قابلية البقاء بدون البدن ومن هذه الآيات ما ينقله القرآن على لسان الكفار:

* (... أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد) *. (١)

ويجيبهم القرآن الكريم يقوله:

* (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربك ترجعون) *. (٢)

وفي موضع آخر يقول:

* (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) *. (٣)

ونفهم من هذه الآيات وآيات أخرى أن نفس كل امرئ تتحدد بذلك الشئ الذي يقبضه ملك الموت أو الملائكة الموكلون بقبض الأرواح

ومن نتيجة ذلك كله:

أولا: انه يوجد في الإنسان شئ يدعى بالروح

وثانيا: الروح الإنسانية قابلة للبقاء والاستقلال عن البدن.

وثالثا: ان هوية كل امرئ مرتبطة بروحه وأما البدن فإنه يقوم بدور الآلة بالنسبة للروح.

---

١ - السجدة / ١٠.

٢ - السجدة / ١١.

٣ - الزمر / ٤٢.

الأسئلة

١ – عرف العلم الحضوري والحصولي واذكر الفروق بينهما.
٢ – اشرح الأدلة العقلية على تجرد الروح.
٣ – ما هي الطرق الأخرى التي يمكن بها اثبات تجرد الروح؟
٤ – أذكر الآيات المرتبطة بهذا الموضوع.
٥ – ما هي النتائج نتوصل إليها بالاستفادة من هذه الآيات؟

الدرس ٤٤
إثبات المعاد
قد اعتبر القرآن الكريم الاعتقاد بالمعاد عدلا وقرينا للاعتقاد بالتوحيد واستخدم في ما يتجاوز العشرين آية كلمات " الله " و " اليوم الآخر " أحدهما في سياق الآخر (إضافة إلى أن القرآن الكريم تحدث عن شؤون الآخرة وأخبارها في أكثر من ألفي آية في سوره المختلفة).
وكما اننا أثبتنا مسألة الروح من خلال طريقين (العقل والنقل) فان مسألة المعاد أيضا يمكن اثباتها من خلال هذين الطريقين.
برهان الحكمة
التقرير الأول لبرهان الحكمة إن خلق الإنسان ليس عبثا وخلق الله العالم بالصورة التي يترتب عليها أكثر ما يمكن من الخير والكمال يعني بما ان العالم المادي عالم التزاحم حيث تتعارض وتتصادم خيرات الموجودات بأن يملك العالم النظام الأحسن.
ومع ملاحظة ان الإنسان يمتلك الروح القابلة للبقاء ويمكنه الحصول على الكمالات الأبدية الخالدة فإذا تحددت حياته بهذه الحياة

الدنيوية فإن ذلك لا يتلاءم مع الحكمة الإلهية وخاصة مع ملاحظة اقتران الحياة الدنيوية بالمصاعب الكثيرة مثل من يبذل أقصى جهوده من أجل الحصول على لقمة العيش ثم يأكل حتى يستطيع لتحصيل اللقمة كمثل السائق الذي يقول سيارته إلى محطة وقود ليملأ سيارته منها وبعد أن يستخدمه في حركتها يواصل مسيره إلى محطة أخرى فان النتيجة المنطقية لمثل هذه الرؤية لحياة الإنسان ليست إلا الاتجاه للعبثية.

التقرير الثاني لبرهان الحكمة: فان من غرائز الإنسان الأصلية حب البقاء والخلود أودعتها يد الخلق الإلهية في فطرة الإنسان ولو افترضنا ان مصير هذا الإنسان ليس إلا أن يفنى بالموت فلا يتلاءم ايجاد مثل هذه القوة المحركة مع هذا المصير والغاية.

إذن فوجود مثل هذا الميل الفطري إنما يتلاءم مع الحكمة الإلهية فيما لو وجدت حياة أخرى غير هذه الحياة المحكوم عليها بالموت والفناء.

واتضح من خلال ذلك أيضا أن الحياة الأبدية للإنسان لا بد من أن يكون لها نظام آخر وليست كالحياة الدنيوية مستلزمة للمتاعب الكثيرة و إلا فان استمرار هذه الحياة الدنيوية بكل مستلزماتها ومتاعبها حتى لو كانت مؤبدة خالدة لا يتلاءم مع الحكمة الإلهية.

برهان العدالة

ان الناس أحرار في اختيار أو ممارسة الأعمال الحسنة أو السيئة ولذا نلاحظ بعض الأفراد يقضون أعماره كلها في عبادة الله وخدمة عباده و أيضا نلاحظ بعض الأشرار والمجرمين يرتكبون من أجل الوصول لنزواتهم وأطماعهم الشيطانية أبشع أنواع الظلم وأفضع ألوان الذنوب.

ان الهدف من خلق الإنسان أن يكون معرضا للاختبارات و الابتلاءات العديدة وليختار مسير تكامله بإرادته واختياره ان الحياة الدنيوية بكاملها جعلت للإنسان دار ابتلاء واختبار وحى في أواخر لحظات حياته وعمره لا يعفى من هذا الامتحان والتكليف وممارسة الوظائف.

ولكننا نرى ان الأخيار والأشرار لا يصلون في هذه الدنيا إلى الثواب والعقاب الملائم لأعمالهم والملاحظ ان الحياة الدنيوية لا تستوعب الثواب أو العقاب على الكثير من الأعمال والتصرفات فمثلا ذلك المجرم الذي قتل آلاف الأبرياء لا يمكن الاقتصاص منه في هذه الدنيا إلا مرة واحدة و بطبيعة الحال سوف تبقى الكثير من جرائمه بدون عقاب مع أن مقتضى العدل الإلهي أن يرى حتى من ارتكب أقل الأعمال الحسنة أو السيئة نتائجها وجزائها.

فلا بد من وجود عالم ذخر يعتبر دار ثواب وعقاب وظهور نتائج الأعمال فيه ليصل كل فرد إلى ما يتلاءم وأعماله لتتجسد العدالة الإلهية عمليا وحسيا بذلك!

نكتة: ان عالم الآخرة ليس عالم اختيار الطريق أو ممارسة التكاليف.

الأسئلة

١ – وضح الحكمة الإلهية وعلاقتها بالنظام الأحسن

٢ – بين برهان الحكمة بكلتا صيغتيه.

٣ – ما هي الملاحظة التي نستفيدها من هذا البرهان غير إثبات أصل المعاد؟

٤ – وضح الهدف من خلق الإنسان في هذا العالم.

٥ – إشرح برهان العدالة.

٦ – ما هي الملاحظة الخاصة التي تستفاد من هذا البرهان.

الدرس ٤٥
المعاد في القرآن الكريم
المقدمة
يمكن تقسيم الآيات القرآنية التي تدور حول إثبات المعاد والاحتجاج مع منكريه إلى خمسة مجموعات:
١ – الآيات التي تنزع سلاح المنكرين وتؤكد هذه الملاحظة وهي انه لا يوجد برهان على نفي المعاد.
٢ – الآيات التي تشير إلى ظواهر مشابهة للمعاد.
٣ – الآيات التي تثبت امكان وقوع المعاد.
٤ – الآيات التي تؤكد ان المعاد وعد محتوم لا يقبل التخلف.
٥ – الآيات التي تشير إلى البرهان العقلي على ضرورة المعاد.
انكار المعاد بلا دليل
إن القرآن الكريم يطالب أصحاب المعتقدات الباطلة بالدليل حتى يكشف للجميع خواء معتقداتهم وانها لا تعتمد على أسس عقلية ومنطقية * (قل هاتوا برهانكم) * (١) ويقول حول المنكرين للمعاد:

---

١ – البقرة / ١١١ والأنبياء / ٢٤ والنمل ٦٤.

* (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) *. (١)
ومن الممكن أن يتقبل عبيد الأهواء والشهوات هذه الظنون الباطلة في حالة ملائمتها لهوى النفس (٢) ونتيجة للأعمال الملائمة معها وارتكاب الذنوب والمنكرات تتحول بالتدريج هذه الظنون إلى معتقدات جازمة (٣).

ظواهر مشابهة للمعاد

الف: خروج النبات من الأرض:

ان إحياء الإنسان بعد الموت مشابه لخروج النبات من الأرض بعد جفافه وموته ومن هنا كان التأمل والتفكير حول هذه الظاهرة التي تحدث دائما أمام عيون الناس كافيا في التوصل لامكان حياتهم بعد موتهم. والقرآن الكريم يلفت أذهان الناس مرارا إلى هذه الظاهرة و يذكرهم بها (٤) ومن هذه الآيات:

* (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير) * (٥)

ب: رقاد أصحاب الكهف:

---

١ - الجاثية / ٢٤
٢ - القيامة / ٥
٣ - الروم / ١٠ والمطففين / ١٠ - ١٤.
٤ - الأعراف / ٥٧ والحج / ٥ - ٦ والروم / ١٩، وفاطر / ٩ وفصلت / ١٩.
٥ - الروم / ٥٠.

بعد أن يستعرض القرآن الكريم وقائع هذه القصة المثيرة المدهشة يقول: * (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) *. (١)

وورد في قصة أصحاب الكهف انه رقد مجموعة من الأفراد رقادا عميقا طويلا امتد بضعة قرون (ثلاثمائة سنة شمسية وثلاثمائة وتسع سنوات قمرية) وبعد هذه الفترة الطويلة استيقظوا من رقادهم وأنت تعلم أن البدن الذي حرم من المواد الغذائية خلال ثلاثمائة عام لا بد من أن يموت ويفسد ويفقد القابلية لعودة الروح إليه وفق النظام الجاري في الطبيعة

إذن فلا بد من أن تلفت هذه الحادثة الخارقة للعادة انتباه الإنسان إلى نظام آخر وراء هذا النظام العادي ليفهم ان الحياة الجديدة للإنسان بعد الموت كذلك وإن كانت مخالفة لنظام الموت والحياة في هذا العالم، ولكنها ليست ممتنعة وسوف تتحق وفق الوعد الإلهي.

ج – إحياء الحيوانات

أشار القرآن الكريم إلى إحياء بعض الحيوانات بصورة غير عادية و منها احياء الطيور الأربعة على يد إبراهيم (ع) (٢) واحياء الدابة التي كان بعض الأنبياء يركبها وحين يكون إحياء الحيوان ممكنا إذن فليس إحياء الإنسان ممتنعا وغير ممكن.

د – إحياء بعض الناس في هذا العالم:

---

١ – الكهف / ٢١.

٢ – البقرة / ٢٦٠.

وقد أشار القرآن الكريم أي نماذج من ذلك ومنها قصة أحد أنبياء بني إسرائيل * (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) *. (١)

وفي موضع آخر يستعرض حكاية موسى (ع) مع جماعة من بني إسرائيل * (وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) *. (٢)

وكذلك إحياء بعض الموتى باعجاز من عيسى (ع) (٤) فيمكن اعتبار هذه النماذج من الشواهد على امكان المعاد.

الأسئلة

١ – بين أسلوب مواجهة القرآن الكريم مع المنكرين للمعاد.

٢ – ما هو وجه الشبه بين خروج النبات من الأرض وإحياء الناس يوم القيامة؟ أذكر رأي القرآن الكريم في هذا المجال.

٣ – ما هي الملاحظة التي تستفاد من قصة أصحاب الكهف فيما يخص موضوع المعاد؟

٤ – اشرح قصة احياء بعض الطيور على يد إبراهيم (ع) واشرح علاقتها بموضوع المعاد.

٥ – أذكر أولئك الذين تعرض القرآن الكريم لإحيائهم.

الدرس ٤٦
أجوبة القرآن عن شبهات المنكرين للمعاد
١ – شبهة إعادة المعدوم
(كيف يحيى الإنسان من جديد بعد أن يضمحل ويتلاشى بدنه؟)
الجواب ان الهوية الشخصية لكل إنسان مرتبطة بروحه وبعبارة أخرى ان المعاد ليس من إعادة " المعدوم " بل عودة " الروح الموجودة ".
٢ – شبهة عدم قابلية البدن للحياة الجديدة
إن حصول الحياة منوط بشروط وأسباب خاصة ولكن البدن الذي يتلاشى كيف يملك القابلية والاستعداد للحياة؟
الجواب: إن هذا النظام المشهود في عالم الدنيا ليس هو النظام الممكن وحده والشروط والأسباب التي نتعرف عليها من خلال التجربة ليست أسبابا وعللا منحصرة والشاهد على ذلك وقوع بعض الظواهر و الحوادث الحياتية الخارقة للعادة في هذا العالم نفسه أمثال إحياء بعض الحيوانات أو الناس.
٣ – الشبهة في مجال قدرة الفاعل

من أين نعرف أن الله تعالى يملك القدرة على إحياء الموتى؟!
الجواب إن القدرة الإلهية ليس لها حدود وتتعلق بكل شئ ممكن الوقوع.
* (أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهم بقادر على أن يحيى الموتى بلى أنه على كل شئ قدير) *. (١)
* (فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم) * (٢)
* (وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) *. (٣)
٤ - الشبهة في مجال علم الفاعل
كيف يمكن التمييز والتعرف على الأبدان التي تحولت إلى تراب و اختلطت ذراتها وأجزاؤها؟ وكيف يمكنه أن يضبط أعمال البشر كلها خلال الآلاف بل الملايين من السنين ليحاسبهم؟
الجواب: ان العلم الإلهي ليس له حدود وله إحاطة بكل شئ
وينقل القرآن الكريم عن فرعون قوله لموسى (ع):
* (فما بال القرون الأولى) *
فقال موسى (ع):

---

١ - الأحقاف / ٣٣.
٢ - الاسراء / ٥١.
٣ - الروم / ٣٧.

* (علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) *. (١)
وقد ذكر في آية أخرى الجواب عن الشبهتين الأخيرتين:
* (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) *. (٢)
الأسئلة
١ - بين هذه الشبهة (استحالة إعادة المعدوم) والجواب عنها
٢ - اشرح هذه الشبهة (عدم قابلية البدن للحياة الجديدة) والجواب عنها.
٣ - بين الشبهة في مجال قدرة الفاعل والجواب عنها.
٤ - وضح الشبهة في مجال علم الفاعل والجواب عنها.

---

١ - طه / ٥١ - ٥٢ وتراجع أيضا سورة ق / ٢ - ٤.
٢ - يس / ٧٩.

الدرس ٤٧
الوعد الإلهي حول القيامة
إن القرآن الكريم يؤكد وقوع المعاد وتحققه ويعتبره وعدا إليها محتوما ويشير للأدلة العقلية على ضرورة المعاد
الوعد الإلهي المحتوم
إن قيام القيامة واحياء الناس جميعا في عالم الآخرة أمر لا يقبل الشك والتردد * (ان الساعة آتية لا ريب فيها) * (١) ووعد حقا لا يقبل التخلف * (بلى وعدا عليه حقا) * (٢) * (قل بلى وربي لتبعثن ولتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) * (٣)
إشارة للبراهين العقلية
١ - برهان الحكمة

---

١ - غافر / ٥٩
٢ - النحل / ٣٨.
٣ - التغابن / ٧.

* (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) * (١)
يستفاد من هذه الآية انه لو لم يكن للمعاد وجود لكان خلق الإنسان في هذا العالم عبثا ولكن لا يصدر العبث من الله الحكيم إذن فهناك عالم آخر من أجل الرجوع إلى الله.
المقدمة الأولى لهذا البرهان انه لو لم تكن بعد هذه الحياة الدنيوية حياة أخروية يكون خلق العالم هذا عبثا
وأما المقدمة الثانية (انه لا يصدر العبث من الله).
النتيجة انه لابد من حياة أخروية بعد الحياة الدنيوية لكي يصل الإنسان إلى نتائج أعماله في عالم الآخرة وبما ان خلق الإنسان بمنزلة الهدف والغاية لخلق العالم فإذا كان خلق الإنسان في هذا العالم عبثا وبلا هدف حكيم فسيكون خلق العالم أيضا عبثا وباطلا.
يقول القرآن الكريم في وصف " أولى الألباب ":
* (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) *. (٢)
٢ - برهان العدالة
إن مقتضى العدل الإلهي وصول الأخيار والأشرار إلى الثواب والعقاب على أعمالهم وتمييز مصير كل منهما عن الآخر وبما انه لا يوجد

---

١ - المؤمنون / ١١٥.
٢ - آل عمران / ١٩١.

مثل هذا التمييز في هذا العالم فلابد من وجود عالم آخر لتتجسد به عدالته خارجا (١) ويمكن ارجاع برهان العدالة في واقعة إلى برهان الحكمة وذلك بان " العدل " من مصاديق " الحكمة ".

الأسئلة

١ - كيف يثبت القرآن الكريم المعاد ويتم الحجة على الناس؟

٢ - ما هي الآيات التي تشير إلى برهان الحكمة؟ بين طريقة الاستدلال بها.

٣ - ما هي الآيات التي تشير إلى برهان العدالة؟ بين طريقة الاستدلال بها.

٤ - كيف يمكن ارجاع برهان العدالة إلى برهان الحكمة؟

---

١ - الجاثية / ٢١ - ٢٢ * (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون * وخلق الله السماوات والأرض بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) *.

الدرس ٤٨
خصائص عالم الآخرة
لا يمكن للإنسان أن يملك معرفة وإحاطة كاملتين بتلك الأمور التي لم يجربها كعالم الآخرة فلا يمكن أن نتوقع معرفة حقيقة عالم الآخرة وحوادثه معرفة دقيقة وكاملة بل علينا أن نكتفي بتلك الصفات التي نتوصل إليها عن طريق العقل أو الوحي.
نرى بعض الأفراد حاولوا تصوير عالم الآخرة بأنه مثل العالم الدنيوي حتى بلغ الأمر بهم إلى أنهم اعتقدوا بان الجنة العليا موجودة في هذه الدنيا وأن الفرق بين الدنيا والآخرة هو الفرق بين الفائدة والقيمة!
ولكن إذا كانت عالم الآخرة كما يقول الجماعة الأولى فما معنى احياء الناس جميعا في يوم القيامة ويوم الجمع الذي تؤكد وجوده الآيات القرآنية؟
وإذا لم تكن الجنة إلا هذه القيم الأخلاقية إذن فلماذا أصر القرآن الكريم كثيرا على إثبات المعاد وإحياء الناس بعد الموت؟
ولا يمكن أن نتوقع الوصول من خلال الجهود العقلية والفلسفية إلى كنه الحياة الأخروية وواقعها.
لأننا لم تعرفنا حتى الآن على حقائق هذا العالم الدنيوي بصورة كاملة ولا يمكننا بالاستعانة بمعلوماتنا وأفكارنا الناقصة والمحدودة – أن نتوصل

إلى حقائق عالم لم نجربه إطلاقا.
* (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) * (١)
مميزات عالم الآخرة بنظر العقل
أهم عالم الآخرة بنظر العقل
أهم مميزات العالم الأخروي:
١ - ان عالم الآخرة لا بد من أن يكون أبديا خالدا وذلك لأنه قد أكد في الدرس ٤٤ إمكان الحياة الأبدية وميل الإنسان فطريا لمثل هذه الحياة و إن تحققها مقتضى الحكمة الإلهية.
٢ - ان نظام عالم الآخرة يلزم أن يكون بصورة تتحقق معها النعمة والرحمة الخالصة دون أن يشوبها تعب ومشقة خلافا للنظام الدنيوي حيث لا يمكنه تحقيق مثل هذه السعادة المطلقة الخالصة.
٣ - لا بد من أن يشتمل عالم الآخرة على قسمين منفصلين متميزين أحدهما للرحمة والآخر للعذاب ليميز ويفرق بين الأخيار والأشرار و ليصل كل منهما إلى نتائج أعماله.
٤ - ان عالم الآخرة يلزم أن يكون من السعة بحيث يستوعب الثواب والعقاب لجميع الناس.
٥ - يلزم أن يكون عالم الآخرة " دار جزاء " لا " دار تكليف ".
من أهم الفروق بين عالم الدنيا وعالم الآخرة هو: ان عالم الدنيا عالم يملك أرضية الاختيار والابتلاء والاختبار بينما عالم الآخرة ليس فيه إلا

---

١ - الاسراء / ٨٥.

تقديم الثواب والعقاب) وان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل) (١) الأسئلة

١ – لماذا لا يمكن أن تكون لنا معرفة دقيقة وكاملة بعالم الآخرة

٢ – أذكر نموذجين من الآراء المنحرفة حول الآخرة وناقشهما

٣ – من أي طريق يمكننا التوصل لمعرفة خصائص عالم الآخرة؟

٤ – أشرح خصائص عالم الآخرة بنظر العقل.

---

١ – نهج البلاغة الخطبة ٤٢.

الدرس ٤٩
من الموت حتى القيامة
في هذا الدرس نستعرض الصفات والخصائص التي نتوصل إليها من خلال القرآن الكريم.
ومن الجدير أن نذكر بأنه من الممكن أن تكون بعض الألفاظ التي استخدمت في وصف عالم الآخرة من الألفاظ المتشابهة حيث لا تكون الصورة التي تخطر في أذهاننا من هذه الإلفاظ والكلمات التي يمكنها أن تستعرض تلك الحقائق وتعبر عنها.
جميع الناس سيموتون
اكد القرآن المجيد انه لن يعيش أحد في هذا العالم حياة خالدة:
* (كل من عليها فان) * (١)
* (كل نفس ذائقة الموت) * (٢)

---

١ - الرحمن / ٣٦.
٢ - آل عمران / ١٨٥ والأنبياء / ٣٥.

ومن هنا يمكن أن نعتبر الموت قانونا كليا كليا عاما لا يقبل الاستثناء لكل الكائنات الحية في هذا العالم (١) (٢)

قابض الأرواح

١ - ان الله يقبض الأرواح

* (الله يتوفى الأنفس حين موتها) * (٣) ٢ - ملك الموت يقبض الأرواح

* (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) *. (٤)

٣ - ملائكة الله ورسله يقبضون الأرواح

* (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) *. (٥)

ان الله تعالى يقبض الأرواح بوساطة ملك الموت وملك الموت بدوره يؤدي عمله بوساطة الملائكة الذين يخضعون لأمره فيصح نسبة قبض الروح إلى ثلاثة لأن فاعلية ملك الموت والملائكة تكون في طول فاعلية الله.

الرفق والشدة في قبض الروح

ان قابضي الأرواح يقومون في قبض أرواح المؤمنين برفق واحترام

---

١ - الزمر / ٣٠ " انك ميت وإنهم ميتون) *.

٢ - الأنبياء / ٣٤ " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) *

٣ - الزمر / ٤٢

٤ - السجدة / ١١.

٥ - الأنعام / ٦١.

* (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم) * (١)
ويقبضون أرواح الكافرين بشدة وامتهان
* (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم و أدبارهم) *. (٢)
عدم قبول الإيمان والتوبة حين الموت
يقول القرآن الكريم في هذا المجال:
* (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانهم خيرا) * (٣)
* (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) * (٤)
تمني الرجوع إلى الدنيا
ينقل القرآن الكريم عن الكفار والمجرمين انهم عندما يحين موتهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا ليكونوا من أهل الإيمان والأعمال الصالحة.
* (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها) *. (٥)

---

١ - النحل / ٣٢ وتراجع أيضا الأنعام / ٩٣
٢ - الأنفال / ٥٠ وانظر أيضا محمد (ص) / ٢٧.
٣ - الأنعام / ١٥٨.
٤ - النساء / ١٨
٥ - المؤمنون / ٩٩ - ١٠٠.

* (... إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) * (١)

عالم البرزخ

ان الإنسان يمر بعد الموت وقبل القيامة بمرحلة زمنية في عالم القبر والبرزخ ويحصل هناك على بعض المسرات والملاذ أو يعاني بعض الشدائد والآلام وقد ورد في كثير من الروايات ان المؤمنين المذنبين في حياتهم الدنيا يواجهون خلال هذه الفترة بعض ألوان المشقة والعذاب بما يناسب وذنوبهم وبذلك يتم تطهيرهم ليكونوا خفيفي المؤونة في عالم القيامة.

يقول القرآن الكريم في مجال عالم البرزخ:

* (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) * (٢)

---

١ - السجدة / ٣٢ وتراجع أيضا فاطر / ٣٧.

٢ - المؤمنون / ١٠٠.

الأسئلة

١ – اشرح رأي القرآن حول عدم خلود الإنسان في هذه الدنيا مع الإشارة للآيات المرتبطة بذلك.

٢ – من هو الذي يقبض روح الإنسان؟ وكيف نعالج ما يلاحظ من اختلاف بين الآيات في ذلك؟

٣ – أذكر الاختلاف في كيفية قبض الروح.

٤ – وضح رأي القرآن حول الايمان والتوبة حين الموت مع الإشارة للآيات المرتبطة بذلك.

٥ – أي نوع من أنواع الرجوع للدنيا ينكره القرآن الكريم؟ وهل ان انكار مثل هذا الرجوع يتنافى مع الاعتقاد بالرجعة؟ ولماذا؟

٦ – اشرح لنا عالم البرزخ.

الدرس ٥٠
صورة القيامة في القرآن الكريم
المقدمة
يستفاد من القرآن الكريم أن بدء عالم الآخرة وحدوثه لا يعني فحسب إحياء الناس من جديد بل يحصل تغير شامل في نظام هذا العالم آنذاك ويقوم عالم آخر ذو خصائص أخرى وسوف يبعث جميع البشر سوية منذ بداية الخلقة حتى نهايتها ليروا نتائج أعمالهم وليقيموا أبدا في النعيم أو الجحيم
حالة الأرض والبحار والجبال
تحدث في الأرض زلزلة عظيمة (١) وتتفجر البحار وتتشقق (٢) و تتحرك الجبال وتسير (٣) وتندك دكا (٤) فلا يبقى من الجبال المرتفعة جدا إلا سراب (٥).

---

١ - الزلزلة / ١
٢ - الزلزلة / ٢
٣ - الكهف / ٤٧
٤ - الحاقة / ١٤.
٥ - الكهف / ٨.

حالة السماء والنجوم
وأما القمر (١) والشمس (٢) والنجوم العظيمة فينكدر ضياؤها و ينطفئ (٣) ويجمع الشمس والقمر (٤) وأما السماء فإنها تمور مورا و تتزعزع ويطوى سجلها (٦) وتذوب الأجرام السماوية كالمعدن المذاب (٧) ويمتلئ فضاء الكون بالدخان والغيوم (٨)
صيحة الموت
ينفخ في الصور ولا يبقى في عالم الطبيعة عين ولا أثر للحياة ويدب الفزع والاضطراب في النفوس (٩)
صيحة البعث وبداية القيامة
وبعد ذلك يقوم عالم آخر يمتلك القابلية على البقاء والخلود (١٠) و

---

١ - القيامة / ٨.
٢ - التكوير / ١
٣ - التكوير / ٢
٤ - القيامة / ٩
٥ - الطور / ١
٦ - الأنبياء / ١٠٤
٧ - المعارج / ٨
٨ - الفرقان / ٢٥
٩ - النحل / ٨٧ - ٨٩.
١٠ - إبراهيم / ٤٨.

تشرق الأرض بنور ربها (١) وتنبعث صيحة البعث والنشور (٢) وترد الحياة إلى جميع الناس وفي لحظة واحدة (٣) ويتجه الجميع مضطرين حائرين (٤) إلى الحضور بين يدي الله (٥).

قيام الحكومة الإلهية وتقطع الأسباب والأنساب

في ذلك العالم تتكشف الحقائق (٦) والملك والحكم كله لله (٧) وكل واحد منهم منصرف وغارق في التفكير بمصيره وحتى الابن يفر من أمه و أبيه والأقرباء كل منهم يفر من الآخر (٨)

محكمة العدل الإلهية

تشكل محكمة العدل الإلهية وتوزع صحائف الأعمال (٩ () ويحضر في هذه المحكمة الملائكة والأنبياء والمختارون من عباد الله شهداء (١٠) بل

---

١ - الزمر / ٦٩
٢ - الزمر / ٦٨
٣ - الكهف / ٤٧
٤ - ق / ٢٠
٥ - يس / ٥١
٦ - إبراهيم / ٢١
٧ - الحج / ٥٦
٨ - عبس / ٣٤ - ٣٧.
٩ - الاسراء / ١٣
١٠ - الزمر / ٦٩.

إن اليد والرجل وجلد البدن ستتكلم وتشهد (١) ويحاسب الناس جميعا بدقة (٢) ويقضى بينهم على أساس العدل والقسط (٣).
باتجاه المستقر الأبدي
ثم يعلن عن الحكم الإلهي (٤) ويميز ويفرق بين الأخيار والأشرار ويتجه المؤمنون للجنة بوجوه مبيضة مستبشرة ضاحكة (٦) بينما يتجه الكفار والمنافقون للجحيم بوجوه مسودة كئيبة وبكل صغار و ذلة (٧)
وحين يقترب المؤمنون من الجنة تفتح لهم أبوابها وتستقبلهم ملائكة الرحمة ولكن حين يصل الكفار والمنافقون إلى جهنم تفتح لهم أبوابها ويؤنبهم ملائكة العذاب بشدة وعنف ويعدونهم بالعذاب الأبدي (٨)

---

١ - النور / ٢٤
٢ - الأعراف / ٨
٣ - يونس / ٥٤
٤ - الأعراف / ٤٤
٥ - الأنفال / ٣٧
٦ - الزمر / ٧٣
٧ - الزمر / ٦٠ و ٧١.
٨ - الزمر / ٧١ - ٧١.

الجنة

توجد في الجنة رياض وحدائق واسعة عرضها السماوات والأرض (١) مليئة بأنواع الأشجار التي تحمل جميع أنواع الفواكه الناضجة والدانية سهلة التناول (٢) وفيها مساكن طيبة واسعة (٣) وأنهار من ماء عذب (٤) و لبن وعسل وشراب طهور (٥) ولهم فيها ما يشاؤون ويرغبون بل أكثر مما يشاؤون ويرغبون (٦)

ولباس أهل الجنة من حرير وسندس واستبرق ومحلاة بأنواع الحلي (٧) ويتكئون متقابلين على سرر مزينة وأرائك ناعمة (٨) ولا يسمع من أهل الجنة إلا حمد الله وشكره (٩)

يطوف حولهم خدم من الولدان المخلدين كأنهم لؤلؤ مكنون حسنا و جمالا (١٠) يقدمون لهم أكوابا من شراب الجنة فيبعث فيهم لذة ونشاطا لا

---

١ - آل عمران / ١٣٣

٢ - الحاقة / ٢٣

٣ - التوبة / ٧٢

٤ - البقرة / ٢٥

٥ - محمد (ص) / ١٥ والدهر / ١٦ و ١٨.

٦ - ق / ٣٥.

٧ - الكهف / ٣١.

٨ - الحجر / ٤٨

٩ - الأعراف / ٤٣

١٠ - الطور / ٢٤.

يوصفان ليس فيه أذى ولا ضرر (١) وأسمى من ذلك كله انهم يتزودون من النعمة الروحية والرضوان الإلهي (٢) وهذه النعمة التي لا يمكن وصفها كلها تبقى خالدة مؤبدة (٣).

جهنم

وهي مقر الكفار والمنافقين الذين ينعدم النور في قلوبهم (٤) وألسنة النار تتصاعد في جهنم من جميع الجهات وأصواتها المفزعة الغاضبة تزيد من الوحشة والرعب والاضطراب (٥)

وأصحاب الجحيم مقرنون في الأصفاد مقيدون بأغلال من حديد (٦) تحيط بهم النار من كل جانب وهم وقود النار (٧)

وطعامهم من شجرة الزقوم وهي شجرة تنبت في الجحيم يزيد أكلها من عذابهم واحتراق بطونهم (٨)

* (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب * قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما

---

١ - الصافات / ٤٥
٢ - آل عمران / ١٥
٣ - البقرة / ٢٥
٤ - النساء / ١٤٠
٥ - هود / ١٠٦
٦ - الرعد / ٥
٧ - البقرة / ٢٤
٨ - الصافات / ٦٢.

دعاء الكافرين إلا في ضلال) *. (١)
ومرة أخرى يطالبون بالموت ولكن يأتيهم الجواب: ستمكثون في النار إلى الأبد * (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) * (٢) و يسألهم أهل الجنة:
* (ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين) *. (٣)
ويقول المستضعفون والضعفاء للمستكبرين: * (.. لولا أنتم لكنا مؤمنين * * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) * (٤)
وأخيرا يقولون للشيطان انك أنت أضللتنا فيجيبهم الشيطان:
* (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) * (٥)
ولذلك كله فلا مناص لهم إلا البقاء في العذاب وإلى الأبد (٦)

---

١ - غافر / ٤٩
٢ - الزخرف / ٧٧
٣ - المدثر / ٤٢
٤ - إبراهيم / ٢١
٥ - إبراهيم / ٢٢
٦ - البقرة / ٣٩.

الأسئلة

١ – اشرح حالة الأرض والسماء حين القيامة
٢ – بين كيفية بداية القيامة وخصائصها
٣ – تحدث بالتفصيل عن محكمة العدل الإلهية.
٤ – وضح تحرك المؤمنين والكفار باتجاه المستقر الأبدي
٥ – ما هي نعم الجنة؟ اشرحها
٦ – بين حالة الجحيم وأصحاب الجحيم
٧ – تحدث بالتفصيل عن أحاديث أصحاب الجحيم.

الدرس ٥١
مقارنة بين الدنيا والآخرة
إن في القرآن الكريم تعرض لمقارنة الدنيا بالآخرة من زوايا مختلفة و يمكننا بالاستفادة من الآيات القرآنية تقويم الحياة الدنيوية والأخروية تقويما صحيحا وتبيان أفضلية العالم الأخروي
قابلية الدنيا للفناء وأبدية الآخرة
إن عمر كل إنسان في هذا العالم له أجل معين سيصل إليه عاجلا أم آجلا وهناك ما يناهز الثمانين آية تدل على أبدية عالم الآخرة و خلوده (١)
قد أكد في القرآن الكريم في آيات مختلفة تعبير ان الآخرة " أبقى " (٢) و ان متاع الدنيا " قليل " وتشبيه الحياة الدنيوية بنبات يخضر لأيام قليلة فحسب ثم بعد ذلك يأخذ بالاصفرار والذبول ونفاذ ما عند الإنسان و بقاء ما عند الله.

---

١ - تراجع آيات الخلود والتأبيد في الجنة والجحيم.
٢ - الكهف / ٤٦ ومريم / ٧٦ وطه / ٧٣، ١٣١ والقصص / ٦٠ والشورى / ٣٦ وغافر / ٣٩ والأعلى / ١٧.
٣ - آل عمران / ١٩٧ والنساء / ٧٧ والتوبة ٣٨ والنحل / ١١٧.

التمييز بين النعمة والعذاب في الآخرة
ان الجميع يعيشون الملذات والأفراح والاستقرار وكذلك يعيشون الأحزان والهموم والمخاوف وان الملذات مشوبة بالهموم في هذا العالم وأما العالم الآخر فينقسم إلى قسمين وكل منهما متميز ومنفصل عن الآخر في أحدهما لا يوجد فيه عين ولا أثر للعذاب والتعب والخوف والهموم وليس في القسم الآخر إلا النار والألم والحسرة والهم.
أصالة الآخرة
ان الحياة الدنيوية مقدمة للآخرة ووسيلة لاكتساب السعادة الأبدية وان الحياة الأخروية هي الحياة النهائية والأصلية وتتمثل قيمة النعم المادية والمعنوية الحقيقية بما يتزود منها الإنسان لحياته الأبدية (١) فمن تناسى الحياة الأخروية وشد نظره بملذات الدنيا وضع الوسيلة موضع الهدف وتصور لها قيمة موهومة.
إن جميع ما ذكر من ذم الدنيا إنما يرتبط بنوع رؤية المنشدين إلى الدنيا والمتعلقين بها واتجاههم.
نتيجة ايثار الحياة الدنيوية واختيارها
مع ملاحظة مميزات عالم الآخرة إن إيثار الحياة الدنيوية لا يعقبه إلا الحسرة والندم ولا يؤدي فحسب إلى الحرمان من السعادة الأبدية بل

---

١ - القصص / ٧٧.

إنه يكون كذلك سببا في الشقاء الأبدي فان من يبذل كل قواه وجهوده في سبيل حياته الدنيوية وارضائها ويتناسى العالم الأخروي تماما أو ينكره فإن مثل هذا الشخص لا يحرم من نعم الجنة فحسب بل إنه سيبتلى أبدا بعذاب الجحيم أيضا وستتضاعف خسارته. (١)

والسر في ذلك أن مثل هذا الشخص المتعلق والمنشد بالدنيا قد أضاع المواهب الإلهية ولم يهتم بحق المنعم الحقيقي (عبادة الله) واستخدم النعم الإلهية في طريق لا يرضى به الله ومثل هذا الشخص المنحرف حين يشاهد النتائج والآثار الوخيمة لاختياره وايثاره السيئ يتمنى أن يكون ترابا ولا يبتلى بمثل هذا المصير الأسود والعاقبة السيئة (٢)

الأسئلة

١ - بين الفروق بين الدنيا والآخرة

٢ - وضح السبب في ذم الدنيا

٣ - بين مساوئ الانشداد والتعلق بالدنيا

٤ - لماذا يؤدي عدم الايمان بالآخرة إلى العذاب الأبدي؟

---

١ - هود / ٢٢ والكهف / ١٠٤ - ١٠٥ والنمل / ٤ - ٥.

٢ - النبأ / ٤٠.

الدرس ٥٢
علاقة الدنيا بالآخرة
عرفنا أن الإنسان سوف ترد له الحياة مرة أخرى في العالم الأخروية ليبقى فيه حيا وإلى الأبد وعرفنا أيضا ان الحياة الأخروية هي الحياة والآن حانت الفرصة لنبحث موضوع العلاقة بين الحياة الدنيوية والحياة الأخروية وتحديد نوع العلاقة بينهما.
الدنيا مزرعة الآخرة
إن السعادة أو الشقاء الأخروي تابع لأفعال الإنسان في هذه الدنيا فلا يمكن الحصول على النعم الأخروية من خلال العمل وبذل الجهد في ذلك العالم الاخر نفسه.
وينقل القرآن الكريم عن بعض الكفار قوله:
* (وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) * (١)

---

١ - الكهف / ٣٦.

لقد توهم هؤلاء انهم يمكنهم الحصول في العالم الأخروي على نعم وافرة من خلال بذل جهودهم هناك أو انهم يتوهمون ان تنعمهم في الدنيا يدل على وجود لطف إلهي مختص بهم ففي الآخرة سوف تشملهم مثل هذه الألطاف الخاصة كما شملتهم في الدنيا بدليل تنعمهم فيها!

فان من اعتقد بأن عالم الآخرة عالم مستقل ونفصل تماما عن الدنيا وان الأعمال الحسنة أو السيئة في هذه الدنيا ليس لها أي تأثير في النعمة والعذاب في العالم الآخر فان مثل هذا الشخص لم يؤمن حقا بالمعاد ان أصل المعاد متقوم بترتب الثواب والعقاب على الأعمال الدنيوية ومن هنا عبر عن عالم الدنيا بالسوق ومحل البيع والتجارة والمزرعة للآخرة فيلزم على الإنسان أن يبذل جهوده في هذه الدنيا وعليه أن يعمل ويزرع ليحصل على الأرباح والثمار الخالدة الدائمة هناك.

النعم الدنيوية لا توجب السعادة الأخروية

إن العلاقة والرابطة بين الدنيا والآخرة ليست من قبيل العلاقة والرابطة بين الظواهر الدنيوية وليس كما قد يتوهم بان كل من كان في الدنيا أكثر قوة ولذة وتنعما وثروة وجمالا سوف يحشر كذلك في الآخرة ولو كان الأمر كذلك لكان أمثال فرعون وقارون أكثر سعادة في العالم الآخر.

وتوهم بعض الجهلاء بان هذه الآية الشريفة * (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) * (١) تعنى: ان السلامة والنعم الدنيوية لها علاقة ايجابية مع السلامة والنعم الأخروية وقد أغفلوا عن

---

١ (الاسراء / ٧٢.

أن المراد من " العمى " في هذه الآية ليس العمى الظاهري بل المراد عمى القلب والبصيرة كما ذكر ذلك في آية أخرى:

* (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) * (١)

وفى موضع آخر يقول:

* (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) * (٢)

النعم الدنيوية لا توجب الشقاء الأخروي

فقد اعتقد بعض الناس بأن هناك علاقة عكسية بين النعم الدنيوية ونعم الآخرة وإنما يحصل على السعادة الأخروية من كان محروما من نعم الدنيا.

بينما لا يوجد بين التوفر على النعم الدنيوية والاستفادة من النعم الأخروية علاقة طردية ايجابية ولا عكسية سلبية بل إن النعم الدنيوية و كذلك الابتلاءات الدنيوية قد قسمت ووزعت بين الناس على أساس التدبير الإلهي الحكيم وقد جعلها كلها وسائل لاختيار الناس و امتحانهم (٣)

---

١ - الحج / ٤٦

٢ - طه / ١٢٤ - ١٢٦.

٣ - الأنفال / ٢٨ والأنبياء / ٣٥.

النتيجة

إن العلاقة بين الدنيا والآخرة ليست من نوع العلاقة بين الظواهر الدنيوية لتكون خاضعة للقوانين الفيزيائية والبيولوجية بل إن ما يوجب النعمة أو العذاب الأخروي هو الأفعال الاختيارية للناس في هذه الدنيا من جهة صدورها عن الإيمان أو الكفر الباطني

الأسئلة

١ – ما هو الاعتراض على انكار العلاقة بين الدنيا والآخرة؟

٢ – وضح معنى هذه الجملة (الدنيا مزرعة الآخرة)

٣ – ما هي العلاقة بين النعم الدنيوية والنعم الأخروية؟

٤ – ما هي العلاقة بين نعم الدنيا وعذاب الآخرة؟

٥ – ما هي الأمور الدنيوية التي توجد علاقة حقيقية بينها وبين السعادة أو الشقاء في الآخرة؟

الدرس ٥٣
نوع العلاقة بين الدنيا والآخرة
المقدمة
إنه توجد علاقة طردية ايجابية بين الإيمان والعمل الصالح وبين القرب الإلهي والنعم الأخروية وكذلك بين الكفر والمعصية وبين البعد عن الله والحرمان من النعم الأبدية وكذلك توجد علاقة عكسية بين الإيمان والعمل الصالح مع العذاب الأخروي وبين الكفر والمعصية مع النعم الأبدية واعترف القرآن الكريم بمثل هذه العلائق والروابط.
والآن يطرح هذا السؤال هل إن مثل هذه العلائق المذكورة علائق حقيقية وتكوينية أم انها خاضعة للوضع والتعاقد؟
علاقة حقيقية أم تعبدية
إن العلاقة بين الأعمال الدنيوية والنعم والعذاب الأخروي ليست من قبيل العلائق المادية والمتعارفة.
تصور أن الطاقة التي بذلت واستخدمت في ممارسة الأعمال الإنسانية سوف تتجسم في الآخرة على أساس نظرية تبديل المادة إلى طاقة وبالعكس وستظهر في الآخرة على شكل نعم أو عذاب أخروية فإنه

مخطئ في اعتقاده وذلك:
أولا لان الطاقة التي استخدمها الإنسان في أقواله وأفعاله ربما لا يمكن تبديلها إلى تفاحة واحدة فضلا عن تبديلها إلى نعم الجنة التي لا تعد ولا تحصى!
وثانيا لأن تبديل المادة إلى الطاقة وبالعكس لا علاقة لها بحسن الأفعال وقبحها ونية الفاعل.
وثالثا لأن الطاقة التي استخدمت مرد في طريق العبادة من الممكن ان تستخدم مرة أخرى في طريق المعصية.
إن نطاق العلائق الحقيقية يشمل أيضا تلك العلائق المجهولة و التي لا تخضع للتجربة وان العلوم التجريبية كما لا يمكنها اثبات العلاقة العلية بين الظواهر الدنيوية والأخروية كذلك لا يمكنها إبطال أي نوع من أنواع العلاقة العلية والمعلولية بينها وافترض تأثير الأعمال الحسنة أن القبيحة في الروح الإنسانية وان تلك الآثار الروحية موجبة لوجود النعم أو العذاب الأخروي مثل هذا الافتراض لا يمكن اعتباره افتراضا غير معقول بل يمكن اثباته وفق أصول فلسفية خاصة.
شواهد قرآنية
يمكن أن نستفيد من آيات ان العلاقة بين أفعال الإنسان و الثواب أو العقاب الأخروي تتجاوز العلاقة الجعلية والتعاقدية بمعنى أنها تدل على وجود العلاقة الحقيقية بين أفعال الإنسان ونتائجها الأخروية

* (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) * (١)
* (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) * (٢)
* (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) * (٣)
* (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا) * (٤)

يستفاد من الآية الأخيرة ان الصورة الباطنية لأكل مال اليتيم في أكل النار وحين تظهر وتنكشف الحقائق في ذلك العالم الآخر فسوف يرى الإنسان أن باطن ذلك الغذاء المحرم كان نارا وسيدرك احتراق بطنه.

فإذن ان مجرد رؤية الإنسان في يوم القيامة لما عمله في الدنيا من أعمال ليست في حد ذاتها ثوابا وعقابا عليها بل إن الصور الملكوتية لتلك الأعمال تظهر آنذاك بأشكال مختلفة من النعم والعذاب والإنسان يتنعم أو يتعذب بها.

---

١ - البقرة / ١١٠ وانظر أيضا المزمل / ٢٠
٢ - النبأ / ٤٠
٣ - الزلزلة / ٧ - ٨.
٤ - النساء / ١٠.

الأسئلة

١ – ناقش تفسير تجسم الأعمال عبر تبدل الطاقات التي استخدمت في الأعمال إلى مواد

٢ – كيف يمكن تصوير العلاقة الحقيقية بين أعمال الإنسان ونتائجها الأخروية تصويرا معقولا؟

٣ – ما هي الآيات الدالة على تجسم الأعمال؟ وما هو الوجه في استعمال تعبيرات الأجر والجزاء وأمثالها؟

٤ – هل يمكن تفسير تجسم الأعمال بحضور الأعمال بصورها الدنيوية نفسها؟ ولماذا؟

الدرس ٥٤
دور الإيمان والكفر
في السعادة والشقاء الأبديين
المقدمة
هل إن كلا من الإيمان والعمل الصالح عامل مستقل في السعادة الأبدية أم ان عامل السعادة هو مجموعتها حيث يساهم كلاهما في تحقيق السعادة دون أن يكون لأحدهما بمفرده هذا التأثير وكذلك هل إن كلا من الكفر والعصيان عامل مستقل في العذاب الأبدي أم ان هذا الأثر مترتب على مجموعهما؟
فقد اعتقد بعض الناس أمثال " الخوارج " بان ارتكاب المعصية عامل مستقل في الشقاء الأبدي بل إنه يؤدي إلى الكفر والارتداد بينما اعتقدت جماعة أخرى أمثال " المرجئة " بأنه يكفي الإيمان وحده في السعادة الأبدية ولا يضر ارتكاب المعصية شيئا في سعادة المؤمن.
والقول الحق في هذا المجال انه ليست كل المعاصي توجب الكفر و الشقاء الأبدي وان كان من الممكن لتراكم الذنوب ان يؤدي إلى سلب الإيمان وفقدانه ومن جانب آخر فلا يصح الرأي الآخر القائل بأنه مع وجود الإيمان يغتفر كل ذنب ولا تضر المعصية.

حقيقة الإيمان والكفر
إن الإيمان حالة قلبية ونفسية تنشأ من العلم بمفهوم والميل إليه و هو يقبل الكمال والنقص نتيجة لشدة أحد هذين العاملين أو ضعفه وهما العلم والميل.
قال القرآن الكريم حول الفراعنة:
* (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) * (١)
وقال موسى (ع) في خطابه لفرعون:
* (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض) * (٢)
مع أن فرعون لم يؤمن وكان يقول للناس:
* (ما علمت لكم من إله غيري) * (٣)
إذن فالإيمان متقوم بالميل القلبي والاختيار خلافا للعلم والمعرفة فيمكن حصوله بدون اختيار الشئ المعلوم ومن هنا يمكن اعتبار الإيمان " عملا قلبيا اختياريا ".
وأما لفظة الكفر فتستخدم تارة في عدم ملكة الإيمان حيث يطلق الكفر على عدم الإيمان وتارة أخرى يختص الكفر بالقسم الأخير أي حالة الجحود والعناد ويعتبر هذا القسم أمرا وجوديا مضادا للإيمان.

---

١ - النمل / ١٤
٢ - الأسراء / ١٠٢
٣ - القصص / ٣٨.

نصاب الإيمان والكفر
إن الحد الأدنى من الإيمان الذي يلزم توفره من أجل الحصول على السعادة الأبدية عبارة عن الايمان بالله الواحد وبالثواب والعقاب الأخرويين وبصحة ما نزل على الأنبياء (ع) ومما يلزم من هذا الإيمان ويترتب عليه العزم والتصميم الإجمالي على العمل بتعاليم الله تعالى وأحكامه.
وأما الحد الأدنى للكفر هو عبارة عن انكار التوحيد أو النبوة أو المعاد أو الشك فيها أو إنكار أمر يعلم بنزوله من الله تعالى على الأنبياء و من هنا يكون الشرك من مصاديق الكفر وأما النفاق فهو الكفر الباطني المقترن بالخداع والتظاهر بالإسلام.
* (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) * (١)
نكتتان:
١ - إن الإسلام أو الكفر الذي يبحث الفقه فيه ويكون موضوعا لبعض الأحكام أمثال طهارة الذبيحة وحليتها وجواز النكاح والإرث وعدمه لا يلازم الإيمان أو الكفر الذي نبحثه في أصول الدين إذ من الممكن ان ينطق أحد بالشهادتين وتثبت له الأحكام الفقهية الإسلامية مع أنه لم يؤمن قلبيا بمضمون التوحيد والنبوة ولوازمهما
٢ - إذا لم يملك الإنسان القدرة على معرفة أصول الدين وفاقدا

---

١ - النساء / ١٤٥.

للعقل أو لم يتمكن من معرفة الدين الحق نتيجة للظروف التي يعيشها فمثل هذا الإنسان يكون معذورا بمقدار قصوره.

تأثير الإيمان والكفر في السعادة والشقاء الأبديين

إن الإيمان بالله تعالى وبربوبيته التكوينية والتشريعية المستلزم للاعتقاد بالمعاد والنبوة نبتة التكامل الحقيقي لإنسان وأما الأعمال التي يرتضيها الله فهي بمثابة أغصانها وأوراقها وثمرتها السعادة الأبدية التي تظهر في عالم الآخرة من بذر في قلبه بذور الكفر والعصيان المسمومة زرع شجرة ستكون ثمارها الزقوم الجهنمي

والسر في ذلك: ان كل فعل اختياري يعتبر حركة للروح باتجاه الغاية والهدف الذي ينشده الفاعل ومن لا يعتقد بالعالم الأبدي والقرب الإلهي لا يمكنه ان يتوقع حصوله على الثواب الأبدي من الله تعالى غاية ما يمكن تقبله بالنسبة للأعمال الخيرة التي تصدر من الكفار ان مثل هذه الأعمال ربما تؤثر في التخفيف من عذابهم.

شواهد قرآنية

إن القرآن الكريم أكد اعتبار الإيمان شرطا في تأثير الأعمال الصالحة في السعادة الأبدية حيث يقول:

* (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة) * (١)

---

١ - النساء / ١٢٤.

وأيضا نرى القرآن الكريم ذكر أن الله أعد الجحيم والعذاب الأبدي للكفار واعتبر أعمالهم باطلة لا ثمرة فيها.

* (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد) * (١)

الأسئلة

١ - بين رأي الخوارج والمرجئة في مجال الإيمان والكفر وبين القول الحق في مقابل هذين الرأيين.

٢ - اشرح حقيقة الإيمان والكفر وعلاقتهما مع العلم والجهل

٣ - وضح النصاب اللازم للإيمان والكفر

٤ - بين علاقة الشرك والنفاق بالكفر.

٥ - ما هي نسبة الاسلام والكفر الفقهي مع الإيمان والكفر الكلامي؟

٦ - بين تأثير الإيمان والكفر في السعادة والشقاء الأبديين

٧ - أذكر الشواهد القرآنية على هذا التأثير.

---

١ - إبراهيم / ١٨.

الدرس ٥٥
العلاقة المتبادلة بين الإيمان والعمل
عرفنا ان الإيمان الثابت الدائم هو الذي يضمن الحصول على السعادة الأبدية وإن كان لارتكاب الذنوب تأثيره في التعرض لبعض العذاب وان الكفر الدائم يؤدي إلى الشقاء الأبدي ومع وجود هذا الكفر فلا يكون لأي عمل خير وحسن تأثيره في السعادة الأبدية
وأيضا ان الايمان والكفر قابلان للشدة والضعف ومن الممكن لتراكم الذنوب أن يؤدى إلى سلب الإيمان من المذنب وفقدانه وكذلك الأعمال الخيرة أن تؤدي إلى ضعف جذور الكفر وربما مهدت لحصول الإيمان
علاقة الإيمان بالعمل
من عرف حقيقة ما ولكنه صمم على عدم العمل بأي لازم من لوازمها فهو في الواقع لم يؤمن بها بل حتى لو تردد في العمل بها فإنه لم يؤمن حقا بتلك الحقيقة يقول القرآن الكريم:
* (قالت الأعراب أمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل

الإيمان في قلوبهم) * (١) إن الإيمان في ذاته يقتضى العمل بلوازمه وان درجة هذا التأثير
الاقتضائي خاضعة لشدته وضعفه وبالتالي فان إرادة الشخص وتصميمه هي التي تحدد ممارسته للعمل أو تركه

علاقة العمل بالإيمان

إن الأعمال الصالحة التي تصدر من المؤمن كما انها صادرة عن إيمانه فإنها بدورها تزيد وتضاعف من قوة الإيمان وثباته وتفتح الطريق لصدور أعمال صالحة أخرى وتشجع عليها.

* (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) * (٢)

لو وجدت بواعث أخرى مخالفة لما يقتضيه الإيمان ودفعت الشخص إلى القيام بأعمال غير صالحة ولم تكن قوة إيمانه بتلك الدرجة التي تردعه عن صدور مثل هذه الأعمال وظهورها فان إيمانه سوف يأخذ بالضعف والتضاؤل وإذا استمر الإنسان على هذه الحالة فإنها ستتهدد أصل إيمانه فيتبدل إيمانه إلى الكفر والنفاق

* (ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون) * (٣)

---

١ - الحجرات / ١٤
٢ - فاطر / ١٠
٣ - الروم / ١٠.

النتيجة

يمكن لنا أن نشبه الحياة السعيدة بشجرة جذورها الإيمان بأصول الدين وأما ساقها فهو العزم والتصميم الإجمالي والبسيط على العمل بلوازم الإيمان وأما أغصانها وأوراقها فهي الأعمال الصالحة التي تتفرع من جذور الإيمان وأما ثمرتها فهي السعادة الأبدية.

ولكن يلزم أن نعلم أن وجود الجذور لا يلزم دائما وجود الغصن والورق المناسب وحصول الثمرة المطلوبة حتى أنه من الممكن نتيجة للتطعيمات التي يطعم بها الغصن أو الساق وحتى جذور الشجرة ان تظهر آثار أخرى منها وربما أدى بها الأمر إلى أن تتبدل إلى شجرة أخرى و هذا هو تبدل الإيمان إلى الكفر (الارتداد)

الأسئلة

١ – وضح تأثير الإيمان في الأعمال الصالحة

٢ – اشرح تأثير الأعمال الصالحة والسيئة في قوة الإيمان وضعفه.

٣ – بين أنواع العلاقات المتبادلة بين الإيمان والعمل وعلاقتها بسعادة الإنسان.

الدرس ٥٦
ملاحظات مهمة
هناك أفراد قد أصيبوا بالانحراف في تفسير الكثير من المعتقدات والمعارف الإسلامية ومعالجتها أو انهم عجزوا عن فهمها واستيعابها و تفسيرها ومن هذه الأمور خطأهم في تفسير دور الإيمان وعلاقته بالأعمال الصالحة والتأثير الهدام للكف والشرك وتفسير تفضيل بعض الأعمال الصغيرة الموقتة على الأعمال الكبيرة الطويلة الأمد فقد اعتقدوا مثلا بأن المخترعين الكبار الذين وفروا وسائل الراحة والاستقرار للآخرين لابد من أن يتمتعوا بمقام أخروي رفيع وكريم وإن لم يكونوا مؤمنين بالله ولا يوم القيامة وربما أدى الأمر بهم إلى انهم اعتبروا مفهوم الله مفهوما قيميا مساويا للمثل الأخلاقية!!
والآن لدفع تلك الأفكار المنحرفة نتعرض نكاتا أساسيا في البحث:
الكمال الحقيقي للإنسان
إن الإنسان حين مقارنته بسائر الكائنات الحية ففي حالة بلوغه كماله اللائق به فإنه يكون أكثر قيمة وأهمية من سائر الكائنات الحيد وأما لو أصيب بالأمراض والانحرافات فربما كان أكثر انحطاطا وأشد ضررا

من سائر الحيوانات.
الذين شاهدوا الكمالات المتوسطة للإنسان وحدها فلا يمكنهم أن يدركوا حقيقته وكماله النهائي إذ لا يدرك القيمة الواقعية والحقيقية للإنسان إلا من تعرف على كماله النهائي
ولكن كما بيناه سابقا ان إنسانية الإنسان مرتبطة بالروح الملكوتية وان التكامل الإنساني في واقعه هو تكامل الروح نفسه الذي يحصل من خلال نشاطاته وأفعاله الاختيارية ومن لم يصل بنفسه لهذا الكمال ولم يدركه بنفسه بالعلم الحضوري والشهود القلبي فلا بد ان يعرفه عن طريق البرهان العقلي أو عن طريق الوحي والكتاب السماوية
أما من وجهة نظر الوحي ان الكمال النهائي للإنسان مرتبة من مراتب وجوده وقد أشير إليها بتعبير " القرب الإلهي "
وأما من جهة نظر العقل فيوجد البراهين المعقدة وهيهنا نحاول أن نوضح واحدة منها بشكل مبسط.
التفسير العقلي
ان الإنسان مفطور على حب الكمال غير المحدود فهو يعتبر العلم والقدرة من مظاهره وإنما يتيسر للإنسان الحصول على مثل هذا الكمال فيما لو ارتبط معنويا بمصدر العلم والقدرة والكمال المطلق غير المحدود أي الله تعالى وهذا الارتباط هو الذي يعبر عنه ب " القرب " (١)
إذن فأهمية تأثير الإيمان في كمال الإنسان وسعادته إنما هي من

---

١ - من أجل التوسع أكثر يراجع كتاب " خود شناسى براى خود سازى " للمؤلف (مد ظله) باللغة الفارسية.

جهة إنه لا تصل إنسانيته لمرحلة الفعلية بدون الارتباط الشعوري والاختياري بالله تعالى ولو أن مثل هذا الإنسان قضى بسوء اختياره على مثل هذه الموهبة الرفيعة فقد فرض على نفسه أبشع أنواع الظلم وأعظمها و استحق بذلك العقاب الأبدي

* (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) * (١)

دور الباعث والنية

أن القيمة الحقيقية للأفعال الاختيارية للإنسان مرتبطة بمدى تأثيرها في القرب من الله تعالى تأثير الأفعال التي تتصف بالحسن والصحة في السعادة الأبدية لفاعلها نفسه متوقف على تأثيرها في تكامل روحه فحسب فقيمة الفعل الإرادي خاضعة لنية الفاعل وباعثه ولا تأثير للحسن الفعلي بدون الحسن الفاعلي في تكامل الروح والسعادة الأبدية و لهذا السبب فان تلك الأعمال التي تصدر لبواعث مادية ودنيوية لا تأثير لها في السعادة الأبدية أكر القرآن الكريم أن تأثير الأعمال الصالحة في السعادة الأبدية مشروط بالإيمان وقصد التقرب (إرادة وجه الله وابتغاء مرضاته) (٢)

والحاصل:

أولا إن عمل الخير لا يتحدد بخدمة الآخرين

وثانيا إن خدمة الآخرين هي بدورها كالعبادات الفردية إنما تؤثر

---

١ - الأنفال / ٥٥

٢ - أنظر النساء / ١٢٤ النحل / ٩٧ الاسراء / ١٩ طه / ١١٢ الأنبياء / ٩٤ غافر / ٤٠ و...

في الكمال النهائي والسعادة الأبدية للفاعل بنفسه فيما لو صدرت عن باعث ونية إلهية.

الأسئلة

١ – ما هو الشئ الذي يمثل القيمة الحقيقية لأي موجود؟

٢ – كيف يمكننا معرفة الكمال النهائي للإنسان؟

٣ – أثبت هذه الحقيقة ان الكمال النهائي للإنسان إنما يحصل في ظل الارتباط والقرب من الله تعالى.

٤ – أثبت هذه الحقيقة إن تأثير الأعمال الحسنة والخيرة في سعادة الإنسان الأبدية مشروط بالباعث الإلهي

الدرس ٥٧
الحبط والتكفير
هل إن العلاقة بين كل لحظة من لحظات الإيمان والكفر مع نتيجتها الأخروية وكذلك العلاقة بين كل عمل حسن أو سيئ مع ثوابه وعقابه هل هذه العلاقة حتمية وثابتة لا تقبل التغير أم أنها قابلة للتغير؟ فمن باب المثال: هل من الممكن جبران أثر المعصية بالعمل الصالح؟ وكذلك العكس فهل من الممكن إزالة أثر العمل الصالح بالمعصية؟
وهذه المسألة هي مسألة " الحبط والتكفير " ونحن في هذا الدس نستعرضها بإيجاز:
العلاقة بين الإيمان والكفر
إن إيمان الإنسان في آخر عمره يمحو الآثار السيئة للكفر السابق فهو مثل النور الساطع يزيل الظلمات السابقة وعلى العكس من ذلك فان الكفر الأخير يمحو آثار الإيمان السابق ويجعل صحيفة الشخص سوداء ويجر مصيره إلى الضياع ليكون النار التي تسقط على البيدر حيث تحرقه جميعا دفعة واحدة
ولا مجال للشك أو التردد في اعتراف القرآن الكريم بمثل هذا التأثير

والتأثير بين الأيمان والكفر
* (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته) * (١)
* (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) * (٢)
العلاقة بين الأعمال الحسنة والسيئة
ويمكن تصور نظير العلاقة بين الإيمان والكفر بين الأعمال الحسنة والسيئة أيضا ولكن لا بد من القول بالتفصيل التالي: وان هناك بعض الأعمال الحسنة إذا صدرت بصورة صحيحة ومقبولة تمحو آثار الأعمال السيئة السابقة أمثال التوبة فهي ان صدرت بالصورة المطلوبة تغتفر خطايا الشخص ويعفى عنها ولكن هذا لا يعنى ان كل عمل حسن يمحو آثار كل المعاصي ومن هنا ربما ابتلى المؤمن بعقاب معاصيه لفترة و بعد ذلك يدخل الجنة الخالدة.
وقد ورد في الروايات الشريفة ان الصلاة المقبولة تغسل الذنوب و تسبب غفرانها يقول القرآن الكريم: * (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) * (٣)
وبعض الذنوب أمثال عقوق الوالدين وشرب الخور تمنع ولمدة بعد ارتكابها من قبول العبادة أو ان المن من الصدقة يبطل ثوابها كما

---

١ - التغابن / ١٩
٢ - البقرة / ٢٧.
٣ - هود / ١١٤.

جاء القرآن الكريم
* (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) * (١)
وما يجدر الإشارة إليه هو انه ربما كان للأعمال الحسنة والسيئة تأثيرها في أعمال أخرى في هذه الدنيا نفسها في حصول المسرات أو الآلام أو في حصول التوفيق أو سلبه كما أن الإحسان للوالدين والأقارب يؤثر في إطالة العمر ودفع الأمراض والبلايا وان عدم احترام المعلمين والأساتذة له تأثيره في سلب التوفيق ولكن حصول هذه الآثار في هذه الدنيا لا يعنى ان الإنسان قد حصل بشكل كامل على ثوابه أو عقابه فان المواضع الأصلي للثواب والعقاب هو العالم الأبدي.

---

١ - البقرة / ٢٦٤.

الأسئلة

١ – وضح معنى الحبط والتكفير

٢ – ما هي الصور التي يمكن تصورها للعلاقة بين الإيمان والكفر؟ و ما هي الصورة الصحيحة منها؟

٣ – ما هي الصور التي يمكن افتراضها للعلاقة بين الأعمال الحسنة والسيئة وما هي الصورة الصحيحة منها؟

٤ – هل إن الآثار الدنيوية للأعمال الحسنة والسيئة تحل محل الثواب أو العقاب الأخروي أم لا؟

الدرس ٥٨
امتيازات المؤمنين
إن الإرادة الإلهية في مجال الإنسان قد تعلقت أصالة بتكامله ووصوله للسعادة الأبدية وتزوده من النعم الخالدة وأما عذاب المجرمين وشقاؤهم الذي نشأ من سوء اختيارهم أنفسهم فقد تعلقت بها الإرادة الإلهية الحكيمة بالتبع وهذا الاختلاف نفسه يقتضي ترجيح جانب الخير في التكوين والتشريع بمعنى: أن يخلق الإنسان تكوينا بصورة تكون فيها لأعمال الخير آثار أكثر عمقا في تكوين شخصيته وان يكلفه تشريعا بتكاليف ميسرة سهلة وكذلك في مقام الثواب والعقاب ترجح كفة الوثاب وتسبق الرحمة الإلهية عضبه
هيهنا امتيازات ثلاثة خص بها الله تعالى طالبي طريق السعادة:
١ – مضاعفة الثواب
إن الله لا يكافئهم بما يعادل ثواب عملهم بل إنه يضاعف لهم الثواب يقول تعالى:
* (من جاء بالحسنة فله خير منها) * (١)

---
١ – النمل / ٨٩.

ويقول أيضا:
* (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) * (١)
٢ - العفو عن الصغائر
إذا اجتنبوا المؤمنون الكبائر فان الله الرحيم يعفو عن صغائرهم و
يمحو آثارهم كما يقول تعالى: * (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وندخلكم
مدخلا كريما) * (٢)
٣ - الانتفاع بأعمال الآخرين
ان الله تعالى يتقبل استغفار الملائكة وعبادة المنتجبين في حق هؤلاء
المؤمنين
الأسئلة
١ - ما هو السر في سبق الرحمة الإلهية؟
٢ - بين تبلور هذا السبق في التكوين والتشريع
٣ - اشرح مصاديق ذلك في ثواب الإنسان وعقابه.

---

١ - الشورى / ٢٣
٢ - النساء / ٣١.

الدرس ٥٩
الشفاعة
إن المؤمن (إذا رحل عن الدنيا وهو مؤمن) فان مثل هذا المؤمن سوف لا يتعرض للعذاب الأبدي وتغتفر له ذنوبه الصغيرة بسبب اجتنابه الكبائر وتغتفر له كبائره أيضا فيما لو صدرت منه التوبة المقبولة والكاملة وأما إذا لم يوفق لمثل هذه التوبة فإن تحمله لمصائب الدنيا و آلامها ولشدائد عالم البرزخ وأهواله ومواقف بدايات النشور والقيامة سوف تأتى على البقية الباقية من أخطائه وأوزاره وتزيل آثارها وإذا لم يتطهر من خلال ذلك كله من أوحال ذنوبه وخطاياه فان الشفاعة ستقوم بمهمة إنقاذه من عذاب الجحيم فان الآية الشريفة:
* (ولسوف يعطيك ربك فترضى) * (١)
تشير إلى العفو الإلهي الذي يشمل المستحقين والذي يتم بشفاعة الرسول (ص)
مفهوم الشفاعة
الشفاعة مستقة من مادة " الشفع " أي (الزوج وما يضم إلى الفرد) و

---

١ - الضحى / ٥.

تستخدم في الاستعمالات العرفية بان يطلب شخص محترم إلى شخص محترم أن يعفوا عن معاقبة مجرم أو ان يضاعف مكافأة بعض العاملين والخدم
ولعل النكتة في استعمال لفظة الشفاعة في هذه الأمور ان هذا المجرم لا يستحق العفو بحد ذاته هو أو ان مثل ذلك العامل والخادم لا يستحق مضاعفة المكافأة لوحده ولكن بضم طلب " شفيع " يتحقق مثل هذا الاستحقاق
إن المشركين الذين اعتقدوا باحتياج خالق الكون للمؤانسة و المعاشرة مع الزوجة والندمان كانوا يفزعون لعبادة الملائكة والجن وكانوا يقولون: * (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) * (١)
ويقولون أيضا:
* (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) * (٢)
ويقول القرآن الكريم حول هذه المعتقدات الجاهلية:
* (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) * (٣)
إن انكار أمثال هؤلاء الشفعاء أو نفى مثل هذه الشفاعة لا يعني انكار مطلب الشفاعة وفى القرآن الكريم نفسه آيات تدل على ثبوت الشفاعة بإذن الله " وفى الواقع ان الفرق بين الشفاعة الصحيحة والشفاعة الباطلة الاشتراكية هو الفرق بين الاعتقاد بالولاية والتدبير بإذن الله والولاية

---

١ - يونس / ١٨ وكذلك الروم / ١٣ الانعام / ٩٤ الزمر / ٤٣
٢ - الزمر / ٣
٣ - الانعام / ٥١ وأيضا الانعام / ٧٠ السجدة / ٤ الزمر / ٤٤.

والتدبير المستقل.
وقد تستخدم لفظة الشفاعة أحيانا في معنى أوسع من ذلك لتشمل ظهور أي تأثير خير حسن في الإنسان بوساطة آخر كما هو الملاحظ في شفاعة الوالدين لأولادهم أو العكس
إن الاستغفار للعصاة في هذه الدنيا نوع من الشفاعة أيضا وحتى الدعاء للآخرين يعتبر في الواقع من قبيل الشفاعة عند الله ".

ضوابط الشفاعة

ان الشرط الأساس لشفاعة الشفيع أو قبول الشفاعة في حق المشفوع له هو الإذن الإلهي:
* (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) * (١)
ويمكن التوصل من خلال آيات أخرى إلى شروط أكثر وضوحا يلزم توفرها في الطرفين الشفعاء والمشفوع لهم منها:
* (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق و هم يعلمون) * (٢)
فباليقين إن القدر المتيقن من الشفعاء الذين يتوفر فيهم هذان الشرطان هم المعصومون (ع)
وكذلك يستفاد من بعض الآيات ان المشفوع لهم لابد ان يكونوا مرضيين عند الله

---

١ - البقرة / ٢٥٥.
٢ - الزخرف / ٨٦.

* (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) * (١)
وليس المراد من كون المشفوع مرضيا عند الله أن تكون أعماله كلها مرضية بل المراد ان يكون الشخص نفسه مرضيا من حيث دينه وإيمانه ذكرت بعض الآيات صفات أولئك الذين لا تشملهم الشفاعة مثلا في سورة المدثر يسأل المجرمون عن سبب دخولهم النار وهؤلاء يذكرون في جوابهم بعض الصفات والأعمال التي أدت بهم لدخول النار أمثال ترك الصلاة وعدم اطعام المساكين وتكذيب يوم الجزاء ثم يقول القرآن الكريم بعد ذلك: * (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) *.

الأسئلة

١ - اشرح معنى الشفاعة ومواطن استعمالها
٢ - بين الفرق بين الشفاعة الصحيحة والشفاعة الباطلة الاشتراكية
٣ - وضح شروط الشفيع
٤ - اشرح شروط المشفوع له.

الدرس ٦٠
الشبهات المثارة
حول الشفاعة والرد عليها
شبهات حول الشفاعة
ش ١ ان هناك بعض الآيات القرآنية تدل على أنه في يوم القيامة لا تقبل شفاعة أحد ومنها الآية (٤٨) من سورة البقرة حيث يقول:
* (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة و لا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) *
الجواب ان أمثال هذه الآيات قد وردت في مقام نفي الشفاعة الباطلة والعشوائية التي لا تخضع لضابطة بالإضافة إلى أن هذه الآيات عامة وتخصص بتلك الآيات التي تدل على قبول الشفاعة بإذن الله
ش ٢ – يلزم من هذه الشفاعة ان يخضع الله تعالى لتأثير الشفعاء
الجواب ان قبول الشفاعة كقبول التوبة واستجابة الدعاء لا يلزم منه هذا اللازم الباطل وذلك لأنه في جميع هذه الأمور تكون أفعال العباد موجبة لحصول القابلية لتقبل الرحمة الإلهية

ش ٣ – اللازم من هذه الشفاعة ان يكون الشفعاء أكثر رحمة وشفقة من الله الرحيم!
الجواب إن الشفاعة وسيلة وطريق جعله الله تعالى نفسه للعفو عن عباده المذنبين وفى الواقع انها تعبر عن أسمى مراتب الرحمة الإلهية
ش ٤ – إذا كان الحكم الإلهي بعذاب العصاة مقتضى العدالة فيكون قبول الشفاعة في حق هؤلاء العصاة مخالفا للعدل
الجواب ان كل حكم من الأحكام الإلهية سواء الحكم بالعذاب قبل الشفاعة أو الحكم بالنجاة من العذاب بعدها موافق للعدل و الحكمة وموافقة هذين الأمرين كليهما للعدل والحكمة لا تعنى الجمع بين الضدين وذلك لاختلاف موضوعهما
ش ٥ – ان الله تعالى اعتبر اتباع الشيطان سببا في التعرض لعذاب النار (في الآيتين ٤٢ و ٤٣ من سورة الحجر) إذن فكيف تتغير هذه السنة الإلهية في مجال الشفاعة؟
الجواب إن قبول الشفاعة في حق المذنب المتوفر على شروطها من السنن الإلهية التي لا تقبل التغير فكل سنة ثابتة لا تقبل التغير مع ملاحظة القيود والشروط الواقعية لموضوعها ومن هذه السنن سنة الشفاعة فهي ثابتة غير قابلة للتغير والتبديل في خصوص عصاة مخصوصين يتوفرون على شروط معينة ويخضعون لضوابط خاصة
ش ٦ – ان الوعد بالشفاعة يؤدي لجرأة الناس وتماديهم في ارتكاب

المعاصي والانحراف عن الصراط المستقيم
الجواب عن هذا الاعتراض الذي يبرز أيضا في مجال قبول التوبة و تكفير السيئات هو ان شمول الشفاعة والمغفرة لشخص مشروط بشروط لا يمكن للعاصي ان يتيقن بحصولها ومن جملة شروط قبول الشفاعة لأحد احتفاظ المشفوع له بإيمانه حتى آخر لحظات عمره.
ش ٧ – ان تأثير الشفاعة في النجاة من العذاب يعنى تأثير عمل الآخرين (الشفعاء) في السعادة والخلاص من الشقاء بينما الآية الشريفة * (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) * تدل على أن سعي الشخص وجهده نفسه هو الذي يوصله للسعادة
الجواب ان الشخص الذي تشمله الشفاعة يبذل جهدا وسيعا في سبيل تحصيل مقدمات السعادة وذلك لان الإيمان وتحصيل الشروط اللازمة لاستحقاق الشفاعة يعتبر جهدا وسعيا في طريق الوصول للسعادة.

الأسئلة

١ – مع وجود الآيات الدالة على نفي الشفاعة فكيف يمكن الاعتقاد بتحققها؟

٢ – هل يلزم من الشفاعة تأثير الآخرين في الله تعالى؟

٣ – هل يلزم من الشفاعة أن يكون الشفعاء أكثر رحمة من وشفقة من الله تعالى؟

٤ – وضح العلاقة بين الشفاعة والعدل الإلهي؟

٥ – هل تؤدى الشفاعة لتغير السنة الإلهية؟

٦ – هل إن الوعد بالشفاعة يؤدي لجرأة العصاة وتماديهم في الانحراف؟

٧ – وضح هذه الفكرة إن الشفاعة لا تتنافى مع استناد سعادة الافراد لسعيهم وجهدهم.